اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحيين (54م– 313م)

م.د. تأثير عبد الجبار ناجي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

الملخص

عانت الديانة المسيحية من اضطهاد الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون ما أفقدها الكثير من رجالها ، إذ أنزل بها الرومان الكثير من العذاب إذ رأوا في عدم عبادتهم للأباطرة خيانة بكونها الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف. وظل اضطهاد الرومان للمسيحيين إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين وأصدر سنة 313م مرسوم ميلان الذي عد المسيحية إحدى الأديان المسموح بممارستها داخل الإمبراطورية.

المقدمة

حفلت الحياة الدينية لدى الإمبراطورية الرومانية والشعوب الخاضعة لها قبل ميلاد السيد المسيح(عليه السلام) بالعديد من العبادات الشرقية والغربية، كديانة الإله اليوناني ديونيسيوس (Dionisius) أو ديانة كيبيلا (Cybelle) في آسيا الصغرى والإله أيل في بلاد الشام، وإله الشمس مثراس(Mithras) في بلاد فارس ، فضلاً عن ديانة ايزيس (Isis) في مصر التي امتدت حتى روما. فضلاً عن انتشار بعض الديانات الغربية التي تسللت إلى الإمبراطورية الرومانية عبر بلاد الغال (فرنسا) والجزر البريطانية، وعلى الرغم من استمرارية تقديم القرابين للآلهة اليونانية والرومانية وكذلك الاحتفالات الشعبية لكل من زيوس وأثينا وأبولو، فقد اهتزت هيبتها بفضل ضجر السكان من تلك الشكليات المتوارثة، ورغبتهم في التطلع إلى منظومة دينية أكثر رقياً. هكذا ولدت المسيحية وسط مناخ روماني استمد جذوره الفكرية أولاً من الفلسفة والتراث اليوناني، فضلاً عن المناخ الفكري للشعوب الشرقية الخاضعة لها.

عندما ولد السيد المسيح (عليه السلام) في فلسطين في عهد الإمبراطور أغسطس[1] كان المثقفون الرومان قد بدأوا في الضيق ذرعاً من قضايا العبادة غير المقنعة فكرياً بالنسبة اليهم، كتقديس العبادات الوثنية، الشرقية أو الغربية ، وحتى مسألة تقديس الأباطرة، وزاد من وطأة تلك المعاناة ، عدم وجود دين يلبي متطلبات أولئك الناس ، فاغلب الديانات الوثنية الرومانية واليونانية مجدت رموز الإمبراطورية وصبّت في مصلحة طبقاتها النافذة .

أن المصادر التي تتعلق بالمسيحية ومعتنقيها في القرنين الأول والثاني الميلاديين قليلة وتكاد تكون نادرة، ولاسيّما الوثائق البردية، إذ أن المسيحيين الأوائل في تلك المرحلة كانوا يعتنقون دينهم بشكل سري حتى لا يتعرضوا للمضايقات والاضطهاد من قبل السلطة الرومانية، فلم تكن هناك أية إشارة عن المسيحية في الوثائق القانونية والإدارية وما شابهها في تلك المرحلة. والوثائق البردية عن المسيحية في مصر تبدأ مع بداية النصف الثاني من القرن الثالث مع اضطهاد الإمبراطور الروماني ديكيوس (249-251م) ، ولذلك فان المسيحية في القرنين الأول والثاني وبداية القرن الثالث تغطيها مصادر مسيحية لاحقة ومتأخرة مثل ما كتبه ترتليان[2] الذي كتب عن المسيحية مدافعاً عنها ضد الوثنيين، ويوسيبيوس اسقف قيصارية الذي كتب عن التاريخ الكنسي ومات بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين[3] في عام 337م . ورغم ذلك فان المعلومات في مصر قليلة أيضاً ، ربما كان هناك قصد

من إخفاء بعض الوثائق عن المسيحية في تلك الحقبة إذ كان المسيحيون مضطرين لذلك بسبب ما يتعرضون له من اضطهاد أما غير المسيحيين فكانوا يفعلون ذلك لإخفاء صلتهم بطائفة مضطهدة .

بدأ الاضطهاد الديني للمسيحيين وكما يذكر سفر أعمال الرسل بعد رجم استفانوس[4] أحد المسيحيين في أورشليم، ويسمى السفر ذلك بالاضطهاد العظيم، واستهل بدايته بالسطو على ما كانت تملكه تلك الجماعة المسيحية الأولى ودخول بيوتهم عنوة وجر الرجال والنساء إلى السجون ما اضطرهم الهرب إلى المدن المختلفة ، ثم توالت أنواع هذه الاضطهادات التي كانت تسير في اتجاهين الأول: الاضطهاد اليهودي لهذه الفئة الذي تمثل بمحاربة السيد المسيح(عليه السلام) ودعوته، ثم ينتقل ذلك إلى تلاميذه واتباعه، فبوادر انشقاق هذه الطائفة الصغيرة – في حينها- عن المعبد والديانة اليهودية عن طريق تبني آراء جديدة عن الديانة اليهودية ، لذلك يقول لاسي اوليري: "ويبدو أن عداء اليهودية للمسيحية في عهدها الأول أن لم تكن كلها"[5] . وبقي هذا العداء اليهودي للمسيحيين الذين كانوا يعدون خارجين عن الدين اليهودي يأخذ طابع الوشاية وعدم الارتياح .

والثاني: الاضطهاد الروماني حيث أن الرومان انزلوا بهذه الطائفة الكثير من العذاب، ويرى جان لوريمر أن سبب هذا الاضطهاد هو" أن السلطات الرومانية لم تعرف بالضبط هذه الطقوس والعقائد المسيحية، ولأنهم راوا في عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة فهذه العبادة هي الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف غير المتجانسة لا حضارياً ولا لغوياً"[6]. وأيضاً رفض المسيحيين تأليه الإمبراطور الروماني كما رفضوا الخدمة في الجيش الروماني، ولذلك نظرت الحكومة الرومانية إلى المسيحيين على انهم فرقة هدامة تهدد أوضاع الإمبراطورية وكيانها بل وسلامتها .

إلا أن هناك من يرى أن اضطهادات الرومان للمسيحين كانت في اغلبها تحريضات من اليهود على هذه الطائفة بدليل اضطهاد الإمبراطور نيرون[7](54-68م) للمسيحين عام 64م إذ يقول لاسي اوليري: " فالاضطهاد الحقيقي الأول الذي وقع على المسيحين باعتبارهم طائفة معينة حدث في روما في عهد الإمبراطور نيرون وكان اليهود ولاشك محرضين عليه إذ كانوا أصحاب نفوذ قوي في البلاط..... وحدثت اضطرابات كثيرة كانوا هم مسؤولين عنها"[8] .

يهدف البحث إلى تتبع مراحل اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحيين ، أثناء مرحلة امتدت أكثر من ثلاثة قرون ، وحتى إعلان مرسوم ميلان عام 313م الذي بمقتضاه اكتسبت الديانة المسيحية الشرعية لأول مرة وأصبحت ديناً رسمياً ضمن ديانات الإمبراطورية.

الصدام بين المسيحية واليهودية

ظهرت الحركة المسيحية للوجود سريعاً بعد العام الخامس عشر من حكم الإمبراطور تيبيريوس[9]، وبدأت الدعوة المسيحية بإعلان ضرورة تنفيذ أحكام الرب، ولم يكن ذلك يتفق مع ممارسات اليهود، إذ أعلنت المسيحية أن بني إسرائيل يحتاجون إلى التطهير ربما مثل الوثنيين، وحتى قبل أن يقوم السيد المسيح(عليه السلام) بإعلان دعوته كان هناك من الكهنة اليهود من ينتقد تصرفات اليهود، ويطالب جامعي الضرائب ألا يجمعوا ألا القيمة المضبوطة فقط ولا يزيدوا عليها كما طالبوا الجنود منهم إلا يقوموا بالسلب والابتزاز[10].

على أن الاضطهاد اليهودي للمسيحيين كان قريناً مع مولد السيد المسيح(عليه السلام) ، إذ هربت العائلة المقدسة من فلسطين خوفاً من بطش الملك اليهودي هيرود الذي عرف نبوءة مولد المسيح(عليه السلام) في بيت لحم فأمر بقتل كل الأطفال الذين ولدوا هناك قبل عامين. وهربت مريم العذراء مع ابنها إلى مصر التي عاش فيها السيد المسيح(عليه السلام) طفولته حتى توفى هيرود فرجعت هي وابنها إلى فلسطين[11].

وتُعد المشكلة الكبرى التي واجهت الديانة المسيحية ومعتنقيها عند ظهورها في البداية هي اختلاف تلك الفئة الجديدة عن اليهود ، كما أنهم لم يلتزموا بأي تعاليم لليهودية ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الختان، كما لم يلتزموا بتقديس يوم السبت فقد كانوا أمة جديدة ما أدى إلى استنفار اليهود. لم تكن المسيحية واضحة في بداية الأمر، إذ ادعى المسيحيون أن لهم علاقة جديدة مع الله وان هذه العلاقة أسمى وأعلى من تلك العلاقة التي تعرفها النفوس اليهودية في إسرائيل . لذلك قام اليهود بمقاومة هذا الدين الجديد وأتباعه ، كما رفض بعض المسيحيين اليهود فكرة أن تحل المسيحية محل اليهودية، وشكل وجود المجتمع المسيحي مشكلة كبرى وتهديداً للوجود والكيان اليهودي. لذا عمل اليهود بكل الطرائق والسبل لتحويل أي مسيحي إلى اليهودية وعندما فشلوا بدأوا بتأليب الوثنيين ضدهم[12].

أشار بعض المؤرخين أن العلاقة بين اليهود والمسيحيين كانت لقاءً بين كيانين مرتبطين بعضهما ببعض من ناحية الأصل والمنبع، وكانت المسيحية مشكلة لليهودية أكثر مما كانت اليهودية مشكلة للمسيحية، برغم مناقشات المسيحية الحادة مع اليهودية ، ولذلك كان الهجوم موجهاً ضد تهديد المسيحيين الأوائل ، وقد أدرك الكُتّاب المسيحيون أن الكيان الديني لكل منهما منفصل عن الآخر منذ البداية . وكانت المسيحية واليهودية كيانين منفصلين من ناحية الفكر والعقيدة، ولم يعدّ المسيحيون أنفسهم مذهباً من مذاهب اليهود. كما أن المسيحية منذ بدايتها كانت مناوئة لليهودية وأن سلوك آباء الكنيسة تجاه اليهود واليهودية يتفق ويتطابق مع ما جاء في الكتابات اليهودية عن العداء المسيحي لليهودية . بل ويرى هؤلاء: " أنه من الضروري إعادة التفكير في الهوية المسيحية والدين المسيحي لأنَّ معاداة اليهود واليهودية فيها ليست سطحية ولا هامشية . لكنها كانت منذ العهد الجديد جزءً لا يتجزأ من الهوية المسيحية "[13].

يبدو أن الأمر يختلف عن ذلك، فالمسيحية مع السيد المسيح (عليه السلام) لم تكن تحمل بداخلها العداء لليهودية ولا لغيرها، ولكن فكرة العداء خرجت من اليهود أنفسهم الذين وجدوا في المسيحية ما يهدد مصالحهم ، إذ كانت الطبقة الثرية (الصدوقيون)[14] تعتمد في تحقيق مصالحها على الدين اليهودي كأحد الأسباب القوية للحصول على الامتيازات والاستثناءات . أما الطبقة الفقيرة (الفريسيون)[15] فقد كان منهم من تحولوا إلى المسيحية ، ولذلك وجدت الطبقة الحاكمة في ذلك خطراً على كيانها ووجودها. وعلى هذا الأساس أخرج مفكروها وأتباعها فكرة عداء المسيحيين لليهود، وروجوا لهذه الفكرة حتى يكون ذلك مبرراً لردّ فعل ضدّ المسيحية ومعتنقيها. وفي ضوء ما تقدم كان الصراع من جانب اليهود دفاعاً عن المصالح الاقتصادية والسياسية في إطار ديني بينما كان الصراع من جانب المسيحيين دفاعاً عن العقيدة الجديدة التي بشروا بها أمام أنصار العقيدة القديمة. وشهدت تلك الحقبة صراعاً فكرياً بين اليهود والمسيحيين وكانت هناك طائفة من اليهود يؤمنون بالسيد المسيح(عليه السلام) ولكنهم كانوا يتمنون أن يكون يهودياً في دعوته ورأوا أنفسهم يهوداً ومسيحيين في الوقت نفسه، ولذلك كانت هناك من تختلط طقوسهم باليهودية والمسيحية معاً. ولكن الكتاب المسيحيين أشاروا إلى ذلك لإبعاد المسيحيين عن أي تأثير يهودي، وكان هؤلاء أقرب إلى اليهودية منه إلى المسيحية وفي كثير من الأحيان كانت تصور هذه الجماعات على أنها جماعات عدوانية وملحدة ويطلق عليهم حديثاً (المسيحيون اليهود) وينطبق هذا المصطلح على المراحل الأولى للمسيحية[16].

نظرة الرومان للمسيحيين الأوائل

لم يتضح للرومان بعد ماهّية الطائفة الجديدة ولذلك اعتقدوا أنها إحدى الطوائف اليهودية وكانت الحكومة الرومانية تتجنب إقحام نفسها في المشكلات الداخلية للحكام الموالين لها في الولايات. على أن اليهود كانوا حريصين دائماً على توريط الرومان في مشكلاتهم الداخلية وصراعاتهم وكانت تلك الصراعات الداخلية في كثير من الأحيان مصدر قلق الرومان .

أوضح الرومان منذ البداية – في أوائل القرن الأول الميلادي- أنهم ليست لديهم نية السماح لليهود بالضغط عليهم في هذا الأمر وان يصبحوا طرفاً في الصراع بين الفرق اليهودية، ولذلك فقد نظروا لهذه الخلافات على أنها دينية ليس لها أي مردود سياسي بالنسبة لهم. وكان ردّ الرومان على أي طلب من اليهود في هذا الشأن هو أن الجدل بين الطوائف اليهودية والمشكلات المثارة بينها أنما هو يتبع القانون اليهودي ولا ترغب الإدارة الرومانية في الدخول في هذا الجدل وهذا الصراع بأي شكل من الأشكال.

لم تكن الإدارة الرومانية حتى عهد الإمبراطور نيرون راغبة في القيام باي عمل ضد المسيحيين، إذ رأوا أن المسيحيين هم جماعة غير سياسية تطالب بمبادئ أخلاقية وعلى هذا الأساس أعتقد الرومان أن ذلك يساعد على حفظ السلام داخل الولايات الرومانية خاصة في فلسطين. وفي تلك الحقبة لم يعانِ المسيحيون سوى من الاضطهاد اليهودي والحالة الوحيدة التي تعرض لها المسيحيون للاضطهاد من قبل أتباع الإدارة الرومانية، كانت عندما تركت فيها روما إدارة الولاية في فلسطين إلى ملك محلي هو اجريبيا الأول ما بين عامي (41-44م) في عهد الإمبراطور كلاوديوس(41-54م)[17]. إذ اصدر هذا الإمبراطور مرسوماً بطرد كافة المسيحيين من مدينة روما، تحت دعوى انهم قد أثاروا القلاقل والاضطرابات ، والملاحظ أن المرسوم وصفهم باليهود، لان الذهنية الرومانية عدت المسيحيين الأوائل طائفة من اليهود.

شهد النصف الأول من القرن الأول الميلادي مشكلة محاكمة السيد المسيح(عليه السلام) وإعدامه ، فقد شعر اليهود أن السيد المسيح أصبح يهدد مصالحهم ويشكّل خطراً حقيقياً على كيانهم السياسي والاقتصادي ووجدوا أن الحلّ هو التخلص منه، لأن أنتصار أفكار المسيح كان يعنى محو الأديان القبلية لتحل محلها روح جديدة وفكر جديد لا مكان فيه للأفكار العرقية والمحلية، ولاسيّما بعد استقلال الكنيسة عن المعبد اليهودي. وفي هذا الصّدد مثل انتشار المسيحية بمثابة مشكلة كبرى تؤرق اليهود ،ولاسيّما وان الدعوى للفكر المسيحي في تلك الحقبة كانت مركزة بشكل كبير داخل المجتمع اليهودي ، وبدأت محاولات للتخلص من السيد المسيح من قبل اليهود باتهامه بالهرطقة[18] والادعاء بأنه ابن الله ثم اتهامه بعد ذلك بالتحريض على الإمبراطور الروماني[19].

أثير جدل كبير حول محاكمة السيد المسيح وإعدامه ، إذ ورد بالمصادر العديد من الإشارات لهذا الأمر فيذكر لاكتانتيتوس(Lactantius)[20]: " أنه في الأيام الأخيرة للإمبراطور تيبيريوس وفي العشر الأواخر من شهر نيسان كما وجدته مكتوباً :أن السيد المسيح قد صلب بوساطة اليهود[21]. كما جاء في التقارير المتبادلة بين بيلاطس"[22] وأعضاء مجلس السنهدرين[23] اليهودي الذين حاكموا السيد المسيح(عليه السلام) أمامهم قبل أن يحاكم أمام الرومان. يقول بيلاطس: " خذوه بأنفسكم وأحكموا عليه طبقاً لقانونكم الخاص، ثم يرد اليهود بانهم ليست لديهم أي سلطة لإعدام أي رجل"[24].

ويذكر ترتليان: "أنه لما بلغ اضطهاد اليهود ذروته أحضروا السيد المسيح إلى بيلاطس ومن خلال غضب وهياج قضاتهم ابتزوه وانتزعوا منه الأمر بتسليم السيد المسيح اليهم لصلبه"[25]. ثم يضيف: "أنه قَدّمَ تقريراً إلى الإمبراطور تيبيريوس عن أمر السيد المسيح وانتشار دعوته في أنحاء فلسطين". ويقول جوسيفوس [26]:" أنه بناءً على التهم التي قدمتها سلطاتنا فقد حكم بيلاطس على المسيح بان يصلب ولم يقدم من حوله أي شيء له" [27].

يتضح من خلال ما ورد في المصادر أن السيد المسيح(عليه السلام) قد تعرض إلى محاكمتين الأولى كانت أمام مجلس السنهدرين بتهمة التطاول على الله، ولما كانت هذه الجريمة عقوبتها الإعدام فقد قام اليهود بتقديم السيد المسيح(عليه السلام) إلى الرومان لمحاكمته. ثم حاول بيلاطس الرفض وعدم التورط في مثل هذه الأمور التي هي من وجهة نظره مشكلة داخلية بين اليهود. وطلب منهم أن يأخذوا المسيح ويحكموا عليه بناءً على القوانين اليهودية. ولكن اليهود أصروا على موقفهم لان الجريمة هنا عقوبتها الإعدام وأنهم ليست لديهم السلطة لفعل ذلك. ورغم أن اليهود كانوا في بعض الحالات يقومون بتنفيذ عقوبة الإعدام حتى مع غض الطرف من قبل الرومان كما يقول جوسيفوس، ألا أنه في حال السيد المسيح(عليه السلام) لم يكن اليهود ليفعلوا ذلك مباشرة من تلقاء انفسهم لما تتميز به شخصيته من شهرة على مسرح الأحداث في تلك الفترة ، ولم يستطيعوا إعدامه سراً ولذلك كانت محاولتهم لتوريط السلطة الرومانية في ذلك الأمر حتى يأتي الخلاص من السيد المسيح عن طريق الرومان.

يؤكد ذلك ما قاله ترتليان من الضغط اليهودي على بيلاطس للحكم على المسيح(عليه السلام) وتسليمه لليهود لصلبه. ثم كانت المحاكمة الثانية أمام الرومان بناءً على التهم التي قدمتها السلطات اليهودية كما ذكر جوسيفوس ولذلك تَّم الحكم على المسيح بالصلب وقول جوسيفوس : " أن من حول المسيح لم يستطيعوا تقديم أي شيء له ويقصد اتباع المسيح أنما يشير إلى أن أمر الحكم بصلب المسيح جاء من قبل السلطة الرومانية التي لا يستطيع اتباع المسيح الوقوف أمامها بينما كان من الممكن مقاومة ذلك الأمر لو كان من قبل اليهود أنفسهم" . وأشار لاكتانتيتوس:" أنه وجد دليلاً مكتوباً على أن المسيح قد صلب بوساطة اليهود مما أشار إلى أن الرومان حكموا عليه بالصلب وان اليهود هم الذين نفذوا هذه العقوبة" ، ويؤكد ذلك ما قاله ترتليان من أن اليهود انتزعوا من بيلاطس الأمر بتسليم المسيح اليهم لصلبه[28].

ويبدو أنَّ في ذلك مبالغة جاءت نتيجة موقف بيلاطس الذي ظهر وكأنه يدافع عن السيد المسيح ويرفض محاكمته والحكم عليه بالإعدام، وهي مبالغة من أحد الكتاب المسيحيين الذي يأمل أن يتحول الأباطرة والحكام الرومان إلى المسيحية . كما أن محاولة الاعتراف بالمسيح كإله من قبل الإمبراطور تيبيريوس لا تعنى التحول إلى المسيحية هذا بالإضافة إلى أن الاعتراف بالمسيح كإله يتعارض مع العقيدة المسيحية . ومن هذا المنطلق يمكن تفسير تلك المحاولة من قبل الإمبراطور على أنها كانت تهدف إلى أنهاء مشكلة دينية.

وعن موقف الإمبراطور الروماني قال (ترتليان): "ان تيبيريوس بعد أن تلقى تقرير بيلاطس اقترح على مجلس الشيوخ[29] أن يتم الاعتراف بالمسيح كإله، ولكن مجلس الشيوخ رفض ذلك"[30]. وربما فُسر(ترتليان) موقف الإدارة الرومانية على أنه ميل للديانة المسيحية، ولذلك كان من الممكن للأباطرة أن يكونوا مسيحيين. ولكن يتضح أن موقف الإمبراطور تيبيريوس وكذلك بيلاطس لا يتعدى كونه موقف سياسي يهدف إلى الحفاظ على أمن الولايات الرومانية والحفاظ على السلام الروماني، وأنهم لما راوا أن تلك الفئة الجديدة اليهودية من وجهة نظرهم هي فئة تختلف مطالبها عن مطالب اليهود السياسية ، وانها تدعو إلى أمور أخلاقية وجدوا أنها تخدم السلام في الولاية، وعلى

هذا الأساس رأى الإمبراطور أنه لا مانع من الاعتراف بالمسيح كإله ضمن الآلهة الرومانية وتشجيع هذه الفئة بدلاً من الاصطدام بها ما دامت لا تشكل خطراً على الإمبراطورية. ويتضح أن هناك خطأ في فهم الإمبراطور تيبيريوس للعقيدة المسيحية، إذ اعتقد بناءً على تقرير بيلاطس أن المسيح هو إله تلك الفئة الجديدة، بينما في واقع الأمر أن المسيح كان يدعو إلى عبادة الله الذي كان يعبده اليهود أيضاً ولكن مع اختلاف المنطلق والمفهوم.

وكان موقف اليهود في هذا الأمر أنهم أرادوا الإيقاع بين السيد المسيح(عليه السلام) والإمبراطور فقالوا: إنَّ المسيح أراد تنصيب نفسه ملكاً على اليهود في الوقت الذي لا يوجد فيه سوى ملك واحد هو الإمبراطور الروماني، ويعتبر ذلك بمثابة خيانة للإمبراطور تيبيريوس إذا لم يقم بيلاطس بتنفيذ عقوبة الإعدام، ولذلك فقد خاف بيلاطس أن يتهم بالتقصير من قبل الإمبراطور تيبيريوس، ولكنه كان في الوقت نفسه مقتنع ببراءة المسيح من هذه التهمة، ولذلك أعلن بيلاطس أنه برئ من دمه ورد عليه اليهود: فليقع دمه علينا وعلى أولادنا[31].

اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحيين 54ـ96م

بدأت المشكلات الحقيقية للمسيحيين مع الرومان عندما خرج المسيحيون الأوائل عن نطاق التبشير داخل الأوساط اليهودية في فلسطين تبعاً لتعاليم السيد المسيح(عليه السلام) ليشمل العالم كله . حيث بدأ المسيحيون التبشير بين الأمم الأخرى، ويذكر (يوسيبيوس):" بأنَّ أول من أرسل إلى مصر ليبشر بالإنجيل كان مرقص الذي شارك بنفسه في كتابته في إشارة إلى بداية حركة التبشير خارج حدود فلسطين"[32]. وانتقل المسيحيون من دور إلى دور عملاً بالنص الإنجيلي الذي يقول " اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها".[33].

بدأت تلك المشكلات في التضخم والبروز بشكل أوضح أمام الرومان في عهد الإمبراطور نيرون فيذكر لاكتانتيوس :" أن أصحاب السيد المسيح الذين تولوا التبشير في كل مكان لنشر المسيحية وتعاليم الإنجيل كانوا في الخمسة والعشرين عاماً التي سبقت حكم الإمبراطور نيرون مشغولين في وضع أسس الكنيسة في كل أنحاء الولايات والمدن . وعندما علم الإمبراطور نيرون بمجيء بطرس[34] إلى روما ليقوم بالهداية والتبشير، ولاحظ أن ذلك لا يتم في روما فقط وإنما في كثير من الأماكن الأخرى بدأت حشود كبيرة في التمرد على الديانة الوثنية وإدانة كل أساليبها، ولذلك قرر الإمبراطور نيرون القضاء على هذا الدين فقام كما يقول (لاكتانتيوس) محاولاً نسف الكنيسة وتدمير التبشير بذبح القديس بولس وصلب الأب بطرس وكان بذلك أول من قام باضطهاد أنصار السيد المسيح (عليه السلام)[35].

ويحدد (لاكتانتيوس) هنا السبب الحقيقي للمشكلة بالنسبة للإمبراطور نيرون والرومان، وهو سياسة التبشير التي اعتمدها دعاة المسيحية ، والتي شكلت خطراً على كيان الديانات الرومانية ليس فقط في روما ولكن في كل أنحاء الإمبراطورية [36]. كان المسيحيون في عهد الإمبراطور نيرون هدفاً للسخرية كما كان يخلط بينهم وبين الفلاسفة ، ولاسيّما الرواقيون[37] الذين كانوا يعارضون سياسة نيرون ، ولذلك فقد وجهت إلى الرواقيين تهم سياسية تتعلق بالطعن في ذات الإمبراطور لان بعضهم كان من الطبقة الحاكمة، أما المسيحيون فلانهم كانوا في معظمهم من البسطاء وفي الغالب من دون مواطنة رومانية فقد اتهموا بالجريمة الدينية وتعرضوا للاضطهاد الديني وكان مضمون كلمة أنا مسيحي أو أنا مسيحية يعني الاضطهاد والاستشهاد وكانت كفيلة لتعرض قائلها للموت بأبشع الوسائل[38].

ويؤرخ (تاكيتوس)[39] بداية اضطهاد المسيحيين لعام 64م ويربط هذا الاضطهاد بحريق روما الكبير الذي دمَّر جزءاً كبيراً من أحياء روما ليلاً يوم 18-19 تموز عام 64م، إذ راوده (نيرون) في خياله أن يعيد بناء روما على نسق اضخم ويدعوها نيروبوليس- أي مدينة نيرون- بدأت النيران من القاعدة الخشبية للسرك الكبير وسرعان ما امتدت ألسنة النار وظلت تلتهم كل ما يصادفها في طريقها لمدة ستة أيام حيث التهمت عشرة أحياء من أحياء روما الأربعة عشر ومخربة ثلاثة منها تخريباً تاماً، وبينما كانت النيران تتصاعد والأجساد تحترق في وسط صراخ الضحايا كان نيرون جالساً في برج مرتفع يتسلى بمنظر الحريق مع زوجته اليهودية(بوبايا سابينا) وبيده إله الطرب يغني أشعار هوميروس التي يصف فيها حريق طروادة.[40].

يُعد حريق روما من أكبر المشكلات التي واجهت المسيحيين مع الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور نيرون وأرتبط به بداية الاضطهاد للمسيحيين، إذ كان هذا الحريق الذريعة التي على أساسها قام الإمبراطور نيرون باضطهادهم بدعوى اتهامهم بأنهم مدبرو هذه الجريمة. وأنَّ اليهود كانوا وراء دفع الإمبراطور نيرون لاتهام المسيحيين بذلك ، ولاسيّما أن اليهود كان لهم تأثير على زوجة الإمبراطور (بوبايا سابينا) وساعدهم في ذلك الاعتقادات المسيحية التي أشارت إلى أن ناراً ضارية سوف تأتي على العالم قرب القيامة[41]. وقد أدان بليني الأكبر الإمبراطور نيرون وأتهمه بانه مدبر هذا الحريق بينما أدان (سويتونيوس) عبيد الإمبراطور[42]. ويذكر (تاكيتوس) :" أنَّ الإمبراطور نيرون مهما فعل من جهد ليكفّر عن جريمته (إحراق روما) فلن يفلح بسبب فداحة هذا الجرم، فضلاً عن أنه اتخذ من المسيحيين كبش فداء ليتخلص مما يلحق به من الشائعات التي أحاطت به، وأنه وجد في المسيحيين انهم انسب من يمكن إلحاق هذه التهم بهم"[43] .

بدأ الإمبراطور نيرون بتحريض الشعب في القبض على المسيحيين واضطهادهم وسفك دمائهم، وذكر (تاكيتوس):" أن الرومان كانوا يلفونهم في جلود الحيوانات الضارية لكي يلقوا حتفهم تحت كلاب الصيد أرباً أو كانوا يدقونهم بالمسامير في الصلبان أو يحرقونهم كالمشاعل لكي يضيئوا الليل عندما ينسحب ضوء النهار. حتى أن مؤهلات الولاة الذين كانوا يتولون الأقاليم تعتمد على مدى قسوتهم في قتل المسيحيين"[44]. على أن ذلك ولد مشاعر التعاطف مع الضحايا، إذ شعر الناس أن تعذيب المسيحيين لم يكن في سبيل المصلحة العامة وإنما لإشباع رغبة القسوة لدى فرد واحد(نيرون)[45].

ويمكن تفسير ذلك بان اليهود كان لهم دور في تلك المشكلة إذ كان معروفاً أن اليهود حاولوا من قبل الإيقاع بين المسيحيين والإدارة الرومانية وذلك للتخلص من المسيحية وأعوانها عن طريق الرومان كما حدث من قبل في أثناء محاكمة السيد المسيح(عليه السلام) وبفضل الدعاية اليهودية وتأثيرها على زوجة الإمبراطور، فقد أستغل اليهود ما تعرض له الإمبراطور من شائعات تتهمه بأنه وراء حرق روما واقنعوه باتهام المسيحيين وساعدهم في ذلك الكراهية المسبقة لدى العامة ضد المسيحيين وقلقهم منهم ولاسيّما بعد ازدياد النشاط التبشيري داخل الإمبراطورية. كان اليهود يهدفون من ذلك توجيه غضب الرومان تجاه تلك الفئة للتخفيف من السياسة العامة الرومانية تجاه اليهود في تلك الحقبة التي شهدت توتراً كبيراً بينهما، هذا فضلاً عن انتشار الشائعة التي تتحدث عن شخص يأتي من الشرق ليسيطر على الإمبراطورية ويحكم من فلسطين، وربما وجد اليهود ولاسيّما الطبقة الحاكمة أن في ذلك فرصة للإيحاء لنيرون أن هذه النبوءة تنطبق على المسيحيين وان هذا الشخص هو المسيح(عليه السلام).[46]

تعد وفاة الإمبراطور نيرون منتحراً والحرب الأهلية والصراع حول العرش ثم وصول الفيلافيين إلى عرش الإمبراطورية الرومانية بمثابة نهاية مؤقتة لأي نوع من الاضطهاد ضدّ المسيحيين والأكثر من ذلك فان الأسرة الفيلافية[47] قد تسامحت تجاه المسيحية ، ولاسيّما في فلسطين لأول مرة في أثناء حربهم ضدّ اليهود، وظل المسيحيون في مرحلة سلام أخرى بعيداً عن الاضطهاد حتى عهد الإمبراطور دوميتيان (81-96م)[48].

على أن نيرون الذي اضطهد المسيحيين بصفة عامة طوال فترة حكمه واتهمهم بحرق روما واتخذ من ذلك ذريعة لتعذيبهم، فإن الإمبراطور دوميتيان هو أول من اضطهد المسيحيين بصفة رسمية عندما أتخذ عام 90م قراراً بإتهام المسيحيين بانهم ملحدين وان الديانة المسيحية هي الحاد[49]. وفي هذا الصدد قال (يوسيبيوس):" أن الإمبراطور دوميتيان قد برز كخليفة لنيرون في حملته ضد المسيحيين، وكان ثاني من حرك الاضطهاد ضدهم[50]. ويذكر لاكتانتيتوس :أنه بعد سنوات من وفاة نيرون كان هناك طاغية أخر لا يقل فساداً عنه ويقصد دوميتيان، ويضيف أيضاً : أن حكومته كانت كريهة وأنه قام باضطهاد المسيحيين طوال مدة حكمه، وكانت هذه الخطوة التي خطاها دوميتيان هي بداية الاضطهاد الرسمي من قبل الإمبراطورية الرومانية تجاه المسيحيين وبداية الكفاح المسيحي ضدّ هذا الاضطهاد[51].

ويرى (يوسيبيوس) أنَّ موجة الاضطهاد من الإمبراطور دوميتيان كانت موجهه أساساً ضد المسيحيين، ولذلك رأى الإمبراطور دوميتيان أن كُلاً منهما(المسيحيين واليهود) على نفس الدرجة من الخطورة من حيث عدم مشاركتهما في طقوس العبادات الرومانية، ولاسيّما عبادة الإمبراطور فضلاً عن التهم السابقة التي كانت تنسب لكليهما وهي الألحاد، إذ رأى الإمبراطور دوميتيان أنَّ هذه التهم تنطبق على المسيحيين كما كانت تنطبق على اليهود[52].

وأراد الإمبراطور دوميتيان أن يطلق عليه سيد وإله وهو ما رفضه اليهود كما رفضه المسيحيون[53]، وقد وجهت اليهما تهمة الإلحاد وضعف الهمة في ممارسة الطقوس الإمبراطورية والاحتقار الشديد لها[54].

أما عن أسباب هذا الاضطهاد فعلى الرغم من التسامح الذي أتسمت به الوثنية في ظل الإمبراطورية الرومانية تجاه العقائد المختلفة، إلا أن الأمر قد أختلف بالنسبة للمسيحيين فيعتقد بعض المؤرخين أنَّ هذا الاضطهاد أنما يعود إلى أسباب سياسية أو أخلاقية أو الاثنين معاً، إذ افترضوا أنَّ المسيحية كانت تهدد الأمن والنظام في المجتمع الروماني بحكم كون معتنقيها أقلية خارجة عن الأجماع ولا تشارك في عقائد الدولة، كما كانت هناك حساسية تجاه المجتمعات الخاصة، ولاسيّما من جانب الإمبراطورية التي رأت فيها بؤراً للفساد والإزعاج ولذا كانت الإدارة الرومانية تصرّ على أن تحصل على ترخيص من الدولة. وكانت تهمة الخيانة العظمى من بين التهم التي وجهت للمسيحيين حيث كان يفترض أن المسيحية تنطوي على ممارسات غير أخلاقية وغير إنسانية مثل أكل لحوم البشر والزنا بالأقارب وأمور أخرى. وكانت تلك هي الفكرة التي ترسخت في أذهان الناس حول المسيحيين ولاشك أن اليهود كان لهم دور في ذلك بفضل الدعاية الضخمة ، إذ حاولوا تشويه صورة المسيحيين لاسيّما عند الحكام الرومان فضلاً عن ما ورثه المسيحيين من سمعه سيئة بحكم نظرة الناس لهم على أنهم إحدى الفرق اليهودية[55].

ومن جراء هذه الفكرة فإنه إذا ما لحق بالدولة أية أخطار أو كوارث فإنه يعتقد معها أن الآلهة غاضبة وناقمة على الرومان مما كان يعد دافعاً إضافياً لاضطهادهم. وفي ضوء علاقة الرومان بكلّ من اليهود والمسيحين خلال القرن الأول الميلادي يظهر أن فيها تبايناً واضحاً ولاسيّما في بداية هذا القرن(القرن الأول الميلادي) وربما يرجع ذلك إلى مواقف اليهود، ولاسيّما الصدوقيين مع الرومان فضلاً عن اعتماد الرومان عليهم في حكم الممالك الرومانية في الشرق(فلسطين وسورية) وما كان لليهود من سيطرة اقتصادية . هذا فضلاً عن أنهم مارسوا عباداتهم وطقوسهم في نوع من الخصوصية التي تقتصر عليهم ولم يجاهروا بها كذلك لم يجاهر اليهود بتحدي الأباطرة الرومان وديانـاتهم حرصاً على مصالحهم، وهذا ما جعل الرومان بعيداً عن الصراع الدائر بين اليهود والمسيحيين. ثم تغير الوضع بعد ذلك في أثر توتر العلاقات بين الرومان واليهود ، الأمر الذي جعل الرومان في البداية يعتقدون أنَّ الصراع بين اليهود والمسيحيين فيه مصلحة لتحقيق أمن الإمبراطورية بانشغال طوائف اليهود في نزاعات داخلية فيما بينها. ثم بدأت سياسة الرومان تميل نحو الجانب المسيحي ، ولاسيّما في عهد الأباطرة الفيلافيين عندما وضح الفارق والاختلاف بين اليهود وأفكارهم وعقائدهم وطموحاتهم وبين المسيحيين كجماعة دينية تدعوا إلى أمور أخلاقية ، وقد بدأ القلق يساور الأباطرة الرومان من المسيحيين ودينهم بسبب سياسة التبشير التي أتبعها المسيحيين وأتت ثمارها بشكل كبير ، مما أدى إلى تحول السياسة الرومانية تجاههم إلى الاضطهاد الرسمي.

والفارق بين ما كان يشكله اليهود من خطر على الإمبراطورية وما كان يشكله المسيحيون هو أنَّ خطر اليهود كان يهدد أمن الإمبراطورية واستقرارها في ولاياتها الشرقية ، ولاسيّما في فلسطين ويهدد مصالحها الاقتصادية والسياسية كما يهدد سيطرتها على تلك المناطق، بينما خطر المسيحيين بدأ يهدد الإمبراطورية بأكملها ويهدد كيانها ودينها ولذلك كانت المشكلات بين الرومان واليهود تأخذ شكل الثورات والحروب في بعض الأحيان من قبل الطرفين باعتبار أن لكل طرف مصالحه التي يدافع عنها ، بينما اتخذت المشكلات بين الرومان والمسيحيين شكل الاضطهاد من قبل الرومان لان الصراع هنا كان صراعاً دينياً خاصة من جانب المسيحيين الذين لم يكن لهم نفس طموحات اليهود الاقتصادية والسياسية ولذلك فلم يخططوا للصراع بينهم وبين اليهود أو بينهم وبين الرومان مثلما فعل اليهود وعلى هذا الأساس خرجت المشكلات بين الرومان والمسيحيين في شكل الاضطهاد الروماني والمقاومة المسيحية(56).

اضطهاد الرومان للمسيحية 98-192م

وفي القرن الثاني الميلادي كانت المشكلة الأساسية التي واجهت الإمبراطورية الرومانية مع المسيحيين وبدأت تثير القلق بشدة ، هي انتشار المسيحية على نحو واسع في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية ، ومن ثم أصبحت تمثل خطراً حقيقياً واضحاً ليس فقط على الفكر والوجود الوثنيين بما فيه من ديانات الإمبراطورية، ولذلك فقد بدأت الحرب الجدلية بين مفكري كل من المسيحية والوثنية الأمر الذي اقلق الحكومة الرومانية ونذر ببداية مشكلة تهدد الاستقرار داخل الإمبراطورية ، ولاسيّما روما إذ كانت هناك جبهتان(المسيحية والوثنية) فتطلب الأمر التدخل من قبل الإمبراطورية وحكامها لحماية الاستقرار والكيان الديني لهم.

ففي عهد الإمبراطور تراجان (98-177م) إذ اتسمت سياسته بعدم قبول الاتهامات الجماعية للمسيحيين وغيرهم، إذ كان يمكن اتهام المسيحيين وحدهم بناءً على اتهام شخصي وليس جماعي كما كان الإمبراطور تراجان ضد تكوين أي فرق جماعية وذلك بهدف عدم حدوث أي اضطرابات أو اتحادات غير قانونية ، فضلاً عن ذلك إصداره مرسوم حرم فيه التجمعات، ربما كان يهدف من ذلك الحد من التقاء المسيحيين بغيرهم(57).

وفي عام(110م) اشتد القلق بالإمبراطور تراجان بشأن الأوضاع المالية لمدن بيثينيا فبعث بصديقه بليني الأصغر في مهمة خاصة ليكون حاكماً عليها، ولما تولى بليني حكم بيثينيا واجهته بعض المشكلات كان من بينها قضية المسيحيين فبعث بخطاب إلى الإمبراطور يخبره بهذا الأمر ويعرض عليه تلك المشكلة ليعرف رأيه فيما فعله وما يجب أن يفعله تجاههم[58]. ويبدأ الجزء الأول من خطاب بليني للإمبراطور بأخبار الأول في مقدمة الخطاب أنه كما تعود الرجوع إليه في كل المشكلات التي تواجهه ولا يجد لها حلاً ويحتار فيها وهي قضية المسيحيين ، حيث أنه لم يشترك أبداً من قبل في محاكمات خاصة بهم، ولذلك فهو لا يعرف التهم التي توجه اليهم ويعاقبوا عليها ويتم استجوابهم بسببها. ويسأل أيضاً عما إذا كان من الممكن إصدار العفو عن هؤلاء عند الندم، وهل إذا كان المرء مسيحياً ثم تحول عن هذا الدين فهل يتغير الموقف وينفعه ذلك؟ وهل الاسم وحده بدون ارتكاب التهم هو الذي يستحق العقاب، أم أن التهم عندما ترتبط بالاسم هي التي تستحق ذلك؟[59]

يتضح من كلام بليني في هذا الجزء إلى أنَّ المسيحية مشكلة واجهت الرومان وأنه كانت هناك محاكمات تتم للمسيحيين، ولاسيّما في آسيا الصغرى، إلا أن الأمر اختلف في الولايات الرومانية عنه في روما، إذ أن "بليني" لم يكن يعرف عن هذه المحاكمات أي شيء كما أنه لم يشترك في أحداها أبداً من قبل، فضلاً عن أنه لم يكن يعرف ما هي التهم التي وجهت اليهم وتم على أساسها استجوابهم ثم عقابهم، ثم أتضح أيضاً أن الذين كان مقبوضاً عليهم ويقدمون للمحاكمة تتفاوت أعمارهم ما بين صغار وكبار ناضجين، كما أنه كان هناك من أرتد عن المسيحية بسبب تلك المحاكمات والعقوبات التي كانوا يلقونها. ويشير كلام بليني إلى حيرته حول طبيعة الجريمة والاتهام أي حول ما إذا كانت المسيحية كدين في حد ذاتها تعتبر اتهام يعاقب على ارتكابه أم أنها لابد وان تقترن بأفعال توجب العقاب وهو ما كان يحدث مع اليهود من قبل.

وفي الجزء الثاني من الخطاب أشار "بليني" إلى المحاكمات التي أجراها بنفسه ويخبر الإمبراطور أنه اتخذ مع المسيحيين الذين مثلوا أمامه كمدانين الإجراءات باستجوابهم في البداية حول ما إذا ما كانوا مسيحيين أم لا، ومن اعترف كان يكرر عليه السؤال مرة ثانية وثالثة ومن أصر على أقواله كان يقوم بإعدامه، كما يخبر بليني الإمبراطور بأنه كان هناك آخرون ولكنهم كانوا مواطنين رومان ولذلك قام بتوقيع أمر بتحويلهم إلى روما[60].

يتضح من كلام "بليني" الفارق بين المتهمين بالمسيحية من غير الرومان وبين من أتهموا بذلك من الرومان حيث كانت عقوبة الأول هي الإعدام مما يؤكد أنَّ المسيحيين واجهوا عقوبة الإعدام بسبب اعتناقهم هذا الدين، بينما الفريق الآخر المتهم بذلك من الرومان كان يتم إرساله لروما دون الإشارة لأية عقوبة . وقد بدأ واضحاً أن المسيحية كانت تواجه مشكلة كبيرة مع القانون الروماني من ناحية باعتبارها جريمة تستوجب عقوبة القتل، ومن ناحية أخرى فيما يتعلق بقرار الإمبراطور تراجان بمنع اللقاءات والتجمعات. أما من ناحية التصنيف فالجريمة لم تكن محددة هل هي جريمة جنائية ام خطا فكري؟ وهل تخضع لعقوبات الفعل أم جرائم الفكر؟ ولذلك كان بليني في حيرة من هذا الأمر، لأنه وجد المسيحيين جماعة دينية ليس لها أي نشاط سياسي غير ممارسة بعض الطقوس الدينية والسلوكيات الأخلاقية. والموقف السياسي الوحيد لهم يتمثل في الخروج على أجماع الإمبراطورية وعلى قدسية الإمبراطور الذي يمثل رمز الإمبراطورية.

استمرت هذه السياسة بشكل أكبر في حقبة الإمبراطور انطونينوس بيوس (138-161م) إذ أصبح التسامح في عهده يخطو خطوات واسعة حتى أنه لم تعد المسيحية جريمة يعاقب عليها وأصبح العقاب لمن يتآمر على الحكومة الرومانية وهي تهمة يتعرض لها المسيحي وغير المسيحي على حد سواء ، كما قام الإمبراطور انطونينوس بيوس بتهديد من يتعرضون للمسيحيين بالمضايقات للعقاب وتبرئة المسيحيين من الاتهامات حتى لو ثبت فعلاً انهم مسيحيون[61].

وفي هذا الصّدد وصلت الشكاوى إلى الإمبراطور من الوثنيين والمسيحيين ، ولاسيّما في آسيا الصغرى التي كان يتعرض فيها المسيحيون لكل أنواع الاضطهاد من السكان المحليين ، ولذلك أصدر الإمبراطور مرسوماً إلى مجمع آسيا وهو أحد مجالس الولايات التابعة للإمبراطور، وتألف من مندوبين عن المناطق والولايات المختلفة ، وكان من ضمن مسؤولياته الأمور الدينية في الولايات. وخلاصة هذا المرسوم:" أن الإمبراطور قد وصلته تقارير كثيرة عن المسيحيين وان رده عليها جاء في إصداره مرسوم جاء فيه : ألا يتدخل أحد في شؤونهم ألا في حال ثبوت تآمر ضد الحكومة الرومانية ، ومن يصر بعد ذلك على اتخاذ أي إجراء ضدّ أي من هؤلاء الأشخاص على أنه مسيحي فيطلق سراح المتهم حتى لو كان مسيحياً ، ويتعرض من وجه له الاتهام للعقاب وقد نشر هذا المرسوم في افسوس[62] حيث عقد مجمع آسيا[63].

وعلى الرغم من هذا التسامح كان الإمبراطور انطونيوس يدين بالولاء إلى العناصر المحافظة على التقاليد من طبقة مجلس الشيوخ ، إذ شكل مجموعة جديدة من النظم لمعاقبة الذين استحدثوا طوائف وديانات جديدة غير معروفة وكانت العقوبة هي الأبعاد والنفي بالنسبة لذوي المكانة الرفيعة ، والإعدام بالنسبة للطبقات الدنيا ولم يذكر المسيحيين في هذه النظم الجديدة[64]. ومع ذلك كانت هناك اضطهادات لبعض المسيحيين ، ولاسيّما الشخصيات البارزة منهم في الولايات الرومانية وفي روما نفسها، وقد ازداد الاضطهاد خاصة من العامة وبعض الحكام الرومان، إذ استشهد البابا (تلسفوروس) كما تمت محاكمة (لوكيوس) أحد كبار الشخصيات الدينية المسيحية على يد الحاكم الروماني (لوليوس اوربيكيوس) وكانت التهمة التي أدين بها هي أنه مسيحي[65].

وهناك أيضاً حادثة تعذيب رجل الدين المسيحي بوليكارب[66] وحرقه، إذ قام (ماكرون) حاكم سميرنا [67] بآسيا الصغرى بالقبض عليه وتعذيبه حتى يتحول عن المسيحية ، وأمام عناده وثباته على عقيدته أصدر حاكم سميرنا أوامره بأحراقه حياً رغم شيخوخته. ويذكر (يوسيبيوس) انهم وضعوا بوليكارب على حمار وقادوه إلى المدينة في يوم السبت وهو يوم اليهود ، ما يشير إلى دور اليهود في هذه الحادثة ويدل على انهم حتى ذلك الوقت كانوا لايزالون يؤلبون الناس والعامة ضد المسيحيين وان دورهم في ذلك كان لا يزال مؤثراً[68].

واشار يوسيبيوس إلى أن تلك الحادثة كانت آخر حوادث الاضطهاد ضدّ المسيحيين في العصر الانطونيني أو أنها كانت السبب في ذلك لما كانت تمثله من خرق واضح في سياسة التسامح مع المسيحيين[69].

ويتضح أنَّ هذا الإمبراطور كان معتدلاً في سياسته ففي حين تسامح مع المسيحيين عن طريق خطوات عدة كانت لها أثار إيجابية كبيرة عليهم ، إلا أن الحكومة الرومانية في عهده كانت تغض الطرف عن بعض الأحداث التي لا تتفق مع سياسة التسامح وذلك تفادياً لبعض المشكلات التي قد تحدث نتيجة ظروف معينة تتعارض مع هذه السياسة كما حدث في سميرنا التي كان يسكن بها عدد كبير من اليهود والوثنيين.

تفاوتت الآراء حول عصر كل من الإمبراطور ماركوس اوريليوس (161-180م) والإمبراطور كومودوس (180-193) فقد ذكر بعض الباحثين أن سياسة كل منهما تجاه المسيحيين كانت تتسم بالتسامح على نهج السابقين، أما البعض الآخر فيذكر عكس ذلك وان الاضطهاد تضاعف تجاه المسيحيين. وفي هذا السياق قال (ترتليان) : " أن ماركوس اوريليوس لم يسقط العقوبة عن المسيحيين صراحة ولكنه تخلص منها بطريقة أخرى عن طريق إدانة من يتهمونهم وبطريقة أكثر قسوة ". كما يدين ترتليان القوانين التي طبقت ضد المسيحيين ويصف القائمين على تنفيذها بالإلحاد والظلم والفساد والقسوة وانهم عديمو المشاعر[70].

بينما يرى بعض الباحثين أنَّ الاضطهاد كان شديداً وازداد في فترة الإمبراطور ماركوس اوريليوس حتى أن الحكومة الرومانية بدأت تنظر إلى الجاليات المسيحية على أنها مشكوك فيها من الناحية السياسية بسبب انتشار جماعة المونتانية (Montanism)[71] بموقفها المتشدد تجاه الدولة وتطابقها مع الروح المناوئة التي كانت تظهر في الروح اليهودية وسلوكها ، فضلاً عن تعطشها للاستشهاد . وعندما ظهرت المونتانية على مسرح الأحداث كان يصعب التمييز بينها وبين التيار الرئيس للمسيحية ، إذ شجعت المونتانية اتباعها على رفض المناصب العامة والخدمة العسكرية ، في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية في أشد الحاجة إلى تعاون مواطنيها[72].

وفي ظل تلك الظروف لم يكن الحكام الرومان بحاجة إلى الاعتماد على الاتهامات بل كان بإمكانهم اضطهاد المسيحيين عندما يشعرون أنَّ أمن الإمبراطورية يتطلب ذلك على أساس أنَّ الرأي العام قد اتهمهم بتدنيس المقدسات وبذلك تمت محاكمة المسيحيين في مدينة ليون وفيينا دون أن يتهمهم الإمبراطور بإساءة استخدام السلطة . وأشارت خطابات الكنيسة في ليون وفينا إلى تلك الاضطهادات التي بدأت تتزايد في تلك المنطقة - ربما في صيف عام 177م- تحت حكم الإمبراطور ماركوس اوريليوس ، كما أشارت إلى ذلك أعمال الشهداء المسيحيين[73].

مما سبق يتضح أنَّ الحكام في الولايات كانوا متأثرين بلا شك بمناوئة العامة للمسيحيين ولذلك نجد ما يوضح قيام بعض الحكام الرومان بممارسة الاضطهاد أيضاً ضد المسيحيين، كما أشارت هذه الخطابات إلى وجود جماعتين من المسيحيين وربما يقصد هنا بالجماعة الثانية هي جماعة المونتانية التي أشار اليها بانهم كانوا يعتمدون على أنفسهم في كلُّ شيء وكانت جماعة المونتانية بتعاليمها المناوئة للدولة وحثها لتابعيها على الاستشهاد تثير كراهية الحكومة الرومانية . ويمكننا القول إنَّ جماعة المونتانية كانت لها آثار سلبية على المسيحيين في علاقتهم مع الرومان وادت إلى تفاقم المشكلات بينهما ، هذا فضلاً عما تسببت فيه من مشكلات عقائدية ولاهوتية بين المسيحيين أنفسهم حتى أصبح هناك من يسمون بالمونتانيين والرافضين للمونتانية.

ولاشك أنَّ سياسة الأباطرة والحكام الرومان قد تغيرت تجاه المسيحيين عّما كانت عليه قبل ماركوس اوريليوس حتى أن بعض المؤرخين ومنهم (جيبون) يؤرخ تدهور الإمبراطورية الرومانية بداية من عهد الإمبراطور ماركوس اوريليوس بسبب التغيير الكبير الذي حدث في سياسته ، ولاسيّما تجاه المسيحيين ، إذ انتشرت محاكمتهم ومن ثم ازداد نشاط المدافعين عنهم[74].

أشارت المحاكمات التي تمت في عهد الإمبراطور ماركوس اوريليوس إلى مرورها بثلاث مراحل: الأولى من عام(161-169م) وظهرت ملامحها أثناء محاكمة جوستين[75] التي يتضح فيها أن الإجراءات القانونية لم تتغير منذ أيام الإمبراطور انطونينوس بيوس، بينما ازداد النشاط ضد المسيحيين وكانت المحاكمات تنتهي بالإدانة على خطيئة دينية شخصية. [76] والمرحلة الثانية تبدأ مع بداية تبني الإمبراطور ماركوس اوريليوس أبنه كومودوس كشريك له في الحكم[77]، ويظهر في هذه الحقبة زيادة الاضطهاد وتكثيفه، ولاسيّما في آسيا وبلاد الغال وهو ما يظهر بوضوح في محاكمات

ليون وفيينا عام(177م).[78] والمرحلة الثالثة تتضح من تقرير (ترتليان) حول المسائل القانونية في معاقبة هؤلاء الذين يوجهون اتهامات للمسيحيين بصرف النظر عمن اتهموهم وعن التفرقة في المعاملة بين المسيحيين وغيرهم[79].

ويشير كلام (ترتليان) إلى التغير الكبير في سياسة التعامل مع المسيحيين في نهاية عصر الإمبراطور ماركوس اوريليوس الذي يتضح من مدى التفرقة في التعامل بين المسيحيين وغيرهم أمام الاتهامات التي توجه اليهم وهو الأمر الذي افقدهم الحصانة التي كانوا يتمتعون بها عندما كان يتعرض من يتهمهم للعقاب.

أما في عهد الإمبراطور كومودوس فتظهر علاقة جديدة بين الدولة والكنيسة حيث بدأت الكنيسة تخرج من اختفائها وبدأ الاعتراف بها بشكل غير رسمي حيث أصبح هناك تنظيم كنسي مستعد للعيش مع الإمبراطورية في سلام ، ولكن في الوقت نفسه كانت معاقبة المسيحيين قائمة في شكل أفراد طبقاً للقوانين القديمة، وأصبحت الكنيسة هي المالك الشرعي لأماكن العبادة[80].

ويذكر (يوسيبيوس):" أن المسيحية في عهد الإمبراطور كومودوس حققت نجاحاً ملحوظاً وانتشاراً كبيراً إذ أن تلك المرحلة شهدت أقل حدة تجاه المسيحيين".[81]

وبفضل تلك السياسة التي نهجها أباطرة نهاية القرن الثاني الميلادي وصلت المسيحية إلى درجة من القوة والتغلغل في أرجاء الإمبراطورية ، ما أدى إلى انتشار الفزع بين العامة من الوثنيين، وقد نجم عن ذلك حالات اضطهاد وتآمر ضد المسيحيين. كما أدى ذلك أيضا إلى قيام مفكري المسيحية بالرد على افتراءات ومزاعم مفكري الوثنية بشكل دفاعي وهجومي في الوقت نفسه[82].

ولعل تلك التطورات قد تسببت في مشكلة كبيرة أقلقت الأباطرة ، إذ بدت الإمبراطورية وكأنها منقسمة على نفسها بين المسيحيين والوثنيين في أثر هجوم فلاسفة كلا الجانبين على الآخر وكذلك في دفاع كل منهما أمام ادعاءات الآخر. ويتبين مما سبق أنَّ نشاط المواجهات الفكرية بين رجال الفكر والفلاسفة في كلا الجانبين (المسيحي والوثني) قد تركّزت في القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي، ويبدو أنَّ ذلك مرجعه إلى ما امتازت به تلك الحقبة من تسامح تجاه المسيحيين وعقيدتهم من قبل الأباطرة .

اضطهاد الرومان تجاه المسيحيين 193ـ 313م

ومع مطلع القرن الثالث بدأت مرحلة أخرى منذ عهد الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس(193-211م) إذ شهدت اضطهاداً شديداً أكثر عنفاً ضدّ المسيحيين وكان من أشهر ضحايا الاضطهاد والد الفيلسوف المسيحي اوريجينيس[83]. عندما تولى الإمبراطور سبتيميوس سيفيريوس عرش الإمبراطورية قام بالاضطهاد بشكل كبير ضدّ الكنائس في كل الأنحاء وكان هناك شهداء في كل مكان وعلى نحو أكبر في الإسكندرية ، ويعزى ذلك إلى قوة المسيحيين بها ووجود مدرسة لاهوتية ساهمت بشكل كبير في تحول الوثنيين للمسيحية. ولذلك كان الهدف من تركيز الاضطهاد في الإسكندرية هو القضاء على هذه المدرسة ودعاتها وكنائسها، إذ شكلت مشكلة كبرى للإمبراطور[84].

أثيرت أقاويل عدة حول الاضطهاد في عهد الإمبراطور سبيتميوس سيفيريوس فيرى بعض المؤرخين أنه كانت هناك مبالغة في الحديث عن الاضطهاد ويذكروا: أنه يمكن القول أن تلك المرحلة تعدّ مرحلة تسامح ديني وسلام في العلاقة بين الدولة الرومانية والدين المسيحي ، ولكن كانت توجد حقب قصيرة من الاضطهادات المحلية بعضها كان عنيفاً ولكنها أثيرت بواسطة الحشود الوثنية التي كان لها تأثير كبير على الحكام في الولايات والذين أرادوا تحقيق مكاسب بمهاجمة فئة اتهمها الرأي العام بانها عدوة للدولة والإمبراطور بسبب رفض عبادته ، وهي الذريعة التي اتخذت للقيام بعمل ضدهم رغم أن الإمبراطور نفسه كان يعدّ رفض عبادته ليس بالخطأ الجسيم[85].

أما في عهد الإمبراطور ديكيوس (249-251م) إذ استغل عداء اتباع الديانات الوثنية للمسيحيين فاصدر مرسوماً لقمع المسيحية عام 249م ، ويعتبر الإمبراطور ديكيوس أول من شرع في اضطهاد عام ضدّ المسيحيين[86]. وعلى هذا الأساس كان أول عمل قام به ضد المسيحيين عام (249م) القبض على بعض رجال الدين المسيحي وسجنهم لمدة عام . وطالب مرسوم ديكيوس سكان الإمبراطورية تقديم الاضحيات للآلهة الوثنية وان تصدر شهادات لكل من يقوم بذلك تثبت تنفيذ هذه التعليمات، وكان يطلق على هذه الشهادات(Libelli) وكانت بمثابة الاختبار الديني وقد وجه هذا المرسوم إلى جميع سكان الإمبراطورية[87]. وهذه الشهادات(Libelli) كان يصدرها الموظفون المحليون لأثبات تنفيذ هؤلاء الناس لأوامر الإمبراطور[88]. أشارت هذه الشهادات إلى تنفيذ قرار الإمبراطور من خلال لجان يتم اختيارها من كل قرية للأشراف عليه ويرتكز القرار على القيام بممارسة الطقوس الوثنية من خلال ثلاث خطوات أساسية للدلالة على تقديس الآلهة الرومانية والاعتراف بها عن طريق تقديم الاضحيات للآلهة وسكب الخمر والمشاركة في الأضاحي المقدسة وان يتم ذلك أمام اللجان في كلُّ قرية[89].

وهذه الشهادات ذات صبغة شخصية ممن يقومون بممارسة تلك الطقوس الوثنية أمام اللجان المسؤولة وقد تم تشكيل هذه اللجان عقب إصدار مرسوم الإمبراطور ولم تكن هناك تعليمات تحدد أعضاء هذه اللجان بل كان الأمر متروكاً لمجالس المدن في عواصم الأقاليم بحسب الظروف المحلية من منطقة لأخرى[90].

ويبدو أنَّ هذا المرسوم كان موجهاً بصفة خاصة للمسيحيين في كل أنحاء الإمبراطورية إذ كان الاتجاه الديني واضحاً في سياسة الإمبراطور ديكيوس التي كانت تسير في عكس اتجاه سلفه فيليب كما كانت تلك الطقوس الوثنية هي ما يتهم به المسيحيون بعدم ممارستها ورفضها وعدم الاعتراف بها ، أما غير المسيحيين فكان معروفاً انهم يقومون بممارسة تلك الطقوس ويشاركون فيها عندما يتطلب ذلك لأنها لم تشكل نقضاً أو تعارضاً مع دياناتهم الوثنية بعكس المسيحية[91]، وقد وضع الإمبراطور ديكيوس الإمبراطورية كلها في محاكمة بحجة إنقاذ التقاليد الرومانية ولذلك فقد أخضع الإمبراطورية الرومانية لواحدة من أكبر عمليات القمع في التاريخ[92].

تفاوتت ردود الأفعال من قبل المسيحيين تجاه ذلك المرسوم فمنهم من أرتد تحت وطأة الاضطهاد وقاموا بممارسة الطقوس الرومانية الوثنية وكان لذلك أكبر الأثر في تهديد استقرار الكنيسة بصورة خطيرة ، كما كان هناك من حاول شراء هذه الشهادات دون التحول عن المسيحية ، وكان هناك من ثبتوا على عقيدتهم وتحملوا أهوال العذاب والاضطهاد واعترفوا بمسيحيتهم وهؤلاء أطلق عليهم المعترفون، كما كان هناك من تحمل وزر التعذيب وهؤلاء أطلق عليهم الصامدون[93]. ويذكر (winter) :" أن المسيحيين وسط هذه الظروف كان طبيعياً أن يبحثوا عن الهروب أما بالمشاركة في الاضحيات أو بالحصول على هذه الشهادات بالغش فقد كان يمكن الحصول عليها بواسطة السكان من أي مركز للشرطة في أي قرية ولم يكن من الضروري أن يعود السكان إلى قريتهم الأصلية " [94].

وكان لمرسوم الإمبراطور ديكيوس أثر سلبي كبير على المسيحيين غير المعاناة والاضطهاد فقد تسبب في أزمة كبيرة وحدوث انشقاق بين المسيحيين بعد مقتل الإمبراطور ديكيوس فقد اختلف المسيحيون فيما بينهم حول موقف من أرتد منهم بشكل حقيقي ومن أرتد بشكل غير حقيقي عن طريق شراء الشهادات الوثنية أو تزويرها وهل يجوز أعادتهم للكنيسة والمسيحية أم يتم طردهم منها وهل يتساوى من تحمل التعذيب والسجن ومن صمد وثبت على عقيدته مع غيره ، كما كان هناك التيار

المعتدل الذي نادى بضم الذين ضعفوا أمام التعذيب حتى يرجعوا إلى المسيحية، وقد انتصر التيار الأخير ولكن على حساب وحدة الكنيسة[95].

أما الإمبراطور فاليريان(253-260م) إذ قام بتجديد الاضطهاد تجاه المسيحيين وبصورة أكبر إذ وجه ضد رجال الكنيسة واصدر مرسومين: الأول في أغسطس عام(257م) أمر بمقتضاه كبار رجال الكنيسة المسيحية بتقديم الاضحيات لآلهة روما ، والمرسوم الثاني صدر في الشرق عام (258م) وقام مجلس الشيوخ بتعميمه على حكام الولايات وجعل هذا المرسوم رجال الكنيسة والكهنوت المسيحي عرضة لعقوبة الإعدام، وبالفعل أعدم البابا (سيكستوس الثاني) و(سان لاورينس) اللذان أحرقا في روما[96]. كما قام الإمبراطور فاليريان بحظر تجمعات المسيحيين، وأغلق مقابرهم، وقدم الأساقفة للمحاكمة إذا ما ظلوا على عقيدتهم . ورغم ذلك فان اضطهاد فاليريان أنتهى بمأساة هزيمته وأسره على يد الفرس في عام 259م[97].

وعلى هذا الأساس لم يكن غريباً بعد وفاة الإمبراطور فاليريان260م أن ينقلب أبنه جاللينوس(260-268م) على سياسته التي كان شريكاً لوالده فيها حتى وفاته ، لضمان تأييد المسيحيين له ، ولاسيّما في الشرق الذي كان يشهد الخطر الفارسي، فأصدر جاللينوس مرسوماً أطلق عليه مرسوم التسامح الأصغر منح بمقتضاه المسيحيين سلاماً بسيطاً استمر حتى عهد دقلديانوس.[98]
وقد أدت العوامل الخارجية دوراً كبيراً في سياسة الرومان مع المسيحيين في تلك المرحلة (النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي)[99]. وكانت المرحلة منذ تولي الإمبراطور جاللينوس (260م) حتى مجيء دقلديانوس عام (284م) أشبه بهدنة مؤقتة بين الجانبين المسيحي والروماني ، ومن الواضح أن تلك الهدنة كانت ذات آثار إيجابية على المسيحيين الذين استفادوا منها فازدادت أعدادهم وقويت شوكتهم.

عندما تسلم الإمبراطور دقلديانوس (284-305م) العرش اقترب الصراع من نهايته بين الكيان المسيحي والكيان الوثني إذ قام الإمبراطور دقلديانوس بمحاولة التقريب بين الفكر المسيحي والفكر الوثني من خلال التقريب بين مفهوم المسيحية القائم على الثالوث(الأب والابن والروح) وبين الوثنية فجعل نفسه في حمى جوبيتر(كبير الآلهة) ثم جعل شريكه في الحكم مكسيميان تحت حماية هيراكليس أبن جوبيتر، وقد اعتقد بذلك أنه سيحظى بقبول المسيحيين، ولكن الجانب الوثني هناك كان شديد العداء للمسيحيين الذين كانوا يلقون باللوم دائماً على الكنيسة واتهامها أنها سبب الكوارث التي تحدث للإمبراطورية وكان من أبرز هؤلاء جاليريوس مساعد الإمبراطور دقلديانوس في الشرق[100]. ورغم أن أسم دقلديانوس أقترن بأكبر حقبة لتعذيب واضطهاد المسيحيين حتى سمي عصره بعصر الشهداء[101]، إلا أن هذا الاضطهاد الديني الكبير في عهده لم يكن بناءً على رغبته الشخصية أو بسبب كراهيته للمسيحيين ودينهم كما سيتضح لاحقاً، وإنما كانت هناك عوامل أخرى أسهمت في الضغط عليه وان كان ذلك لا يعفيه من المسؤولية أو يقلل من دوره فيما حدث للمسيحيين في عهده .

ذهب (يوسيبيوس) إلى :"أنَّ الاضطهاد الواسع للمسيحيين في عهد هذا الإمبراطور لم يبدأ إلا في العام التاسع عشر من حكمه في شهر مارس قرب حلول أحد أعياد المسيحيين ، إذ كانت المراسيم الملكية منشورة في كلُّ مكان تأمر بتدمير الكنائس عن آخرها وحرق النصوص وتجريد من يتبوؤن المناصب العليا من هذا الشرف وحرمان خدم المنازل من حرياتهم إذا أصروا على بقائهم على هذا الدين، وكان ذلك أول القرارات المضادة للمسيحيين ولكن بعد مدة قصيرة من ذلك أصدر الإمبراطور مراسيم أخرى نصت على سجن قادة الكنائس في كلُّ مكان وإجبارهم بكل الطرائق على تقديم القرابين"[102]. بينما أشار بعض الباحثين أن اضطهاد المسيحيين قد بدأ في الجيش قبل الاضطهاد

العام في الإمبراطورية. وقد اعتمدوا في ذلك على قول (يوسيبيوس) : بان اضطهاد الجيش بدأ في العام السادس عشر من حكم دقلديانوس، أي قبل الاضطهاد العام بثلاثة أعوام. وذلك يؤكد من ناحية أخرى دور جاليريوس في اضطهاد المسيحيين[103].

ويتضح من خلال المصادر أنَّ اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس لم يبدأ مع توليه عرش الإمبراطورية مثلما حدث مع الأباطرة السابقين وإنما تأخر لمدة كبيرة ناهزت العشرين عاماً ، وربما يشير ذلك إلى عدم رغبته في ان يسلك هذه السياسة وأنه كان يفضل الحل لتلك المشكلة التي كانت تمثل أكبر التحديات لأي إمبراطور بالطرائق السلمية، ويؤكد ذلك ما قام به من محاولات للتقريب بين المسيحية والديانات الرومانية ، فضلاً عن أنه كان يحيط به المسيحيون حتى في قصره .

لقد دفع الإمبراطور دقلديانوس كل من كان في القصر للقيام بالتضحية، كما كتب إلى حكام الأقاليم يأمرهم أن يجبروا الجنود تحت قيادتهم بنفس الشيء أو فصلهم من الخدمة . وفي شباط عام(303م) صدر مرسوم في نيقوميديا[104] أمر فيه بصفة عامة تدمير المسيحية والهجوم عليها، ولكن هذا المرسوم لا يوجد دليل على تسجيله في أي مكان وان كانت هناك إشارات عدة على أنَّ بعض الكنائس قد دمرت وأن بعض نسخ الإنجيل قد أحرقت. وقد انتشر هذا المرسوم في أماكن أخرى عن طريق الخطابات الإمبراطورية، ولاسيّما في الأماكن القريبة من فلسطين إذ وصلت أوامر أفادت بأن المجتمع المدني كله يجب أن يقوم بالتضحية وتقديم القرابين للآلهة الوثنية[105].

ومن أهم العوامل التي أثرت في سياسة الإمبراطور دقلديانوس تجاه المسيحيين شخصية جاليريوس الذي أدى دوراً كبيراً في الاضطهاد الذي حدث للمسيحيين عندما بدأت حركة تطهير الجيش والإدارة الرومانية بإيعاز منه، وجدير بالذكر أن الإمبراطور دقلديانوس عندما تولى العرش كان الكثير من خدمه من المسيحيين بل كانت كل من زوجته وابنته من المسيحيين . [106]

وكان جاليريوس يحث الإمبراطور على نهج سياسة متشددة مع المسيحيين وعلى اضطهادهم، وقد ذُكر أن حريقاً نشب في القصر الإمبراطوري في نيقوميديا وربما كان من تدبير جاليريوس وأتباعه لتنفيذ مخططهم ضد المسيحيين، وبالفعل القيت التهمة على المسيحيين ونجح بذلك جاليريوس في حث الإمبراطور دقلديانوس على اضطهاد المسيحيين بصورة أكثر عنفاً وأشد قسوة من الحقب السابقة، وقد ساعد جاليريوس في ذلك مرض دقلديانوس حيث بلغ فيه الاضطهاد مداه. وكان جاليريوس قد استغل مدة مرض الإمبراطور وأصدر قراراً بفرض عقوبة الإعدام على المسيحيين، وعندما شفى الإمبراطور ووجد الأمور قد وصلت إلى هذا الحد من العنف اعتزل هو وشريكه في الحكم مكسيميان عام 305م [107].

أما عن موقف المسيحيين تجاه ذلك الاضطهاد فقد ثبتوا على دينهم وأبدوا مقاومة شديدة وعنيفة وكان لذلك تأثيراً كبيراً ويظهر من المراسيم التي خرجت ضدهم أنها بدأت الأعنف والأشد مثل: تدمير الكنائس وتجريد المسيحيين من وظائفهم وحرياتهم ثم الأقل عنفاً مثل: سجن قادة الكنائس وإجبارهم على ممارسة الطقوس الوثنية ثم تظهر بعد ذلك المراسيم التي تحمل في طياتها ملامح الترغيب والترهيب معاً مثل: الوعود بإطلاق سراح السجناء الذين يقومون بإداء تلك الطقوس حتى عقوبة الإعدام التي فرضها جاليريوس على المسيحيين في مرحلة مرض دقلديانوس لم تستمر، كما أنه لم يستطع الاستمرار في تلك السياسة[108].

ويظهر بوضوح أن اضطهاد المسيحيين في عصر الإمبراطور دقلديانوس لم يكن ليضعفهم بقدر ما أضعفت الإمبراطورية ، ولذلك كان من الطبيعي عدم استمرار القرارات والمراسيم الإمبراطورية بالقوة نفسها التي صدرت بها ولاسيّما في ظل ما كان يواجه الإمبراطورية من مشاكل أخرى سواء هجمات البرابرة أو المشاكل الاقتصادية الداخلية . فضلاً عن أن سياسة الإمبراطور دقلديانوس التي هدفت إلى إصلاح الإمبراطورية وتقويتها أتت بنتائج عكسية في ظل ظروف كانت فيها الإمبراطورية تواجه هذا الكم الكبير من التغيير المفاجئ في أنظمتها في الوقت نفسه الذي تهاجم فيه المسيحيين بهذا الشكل بعد أن أصبحوا مؤسسة كبيرة تنتشر في أرجاء الإمبراطورية، ولذا فان مواجهة تلك المؤسسة بهذا الشكل من الاضطهاد أوجد جبهة شديدة العداء نتيجة المعاناة من هذا الاضطهاد ، فضلاً عن السخط العام الذي ساد نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية في تلك الحقبة[109].

أما عهد الإمبراطور ماكسيمينوس دايا(305-313م) إذ مثل قمة الاضطهاد للمسيحيين وآخر مراحله ، إذ بدأ منحنى الاضطهاد بعده في الهبوط سريعاً لتسير الأمور في صالح المسيحيين، ويعُد الإمبراطور ماكسيمينوس من أعنف من اضطهد المسيحيين للأعوام(305م - 311م) وأخيراً من نهاية كانون الأول 311م حتى عام 312م ، فكان هذا الإمبراطور يمتلك طرائق جديدة شديدة الفاعلية في اضطهاد المسيحيين[110]. وفي أول خطاب لماكسيمينوس يوجهه لفلسطين طلب من المسؤولين عن المدينة زيادة الأضاحي المقدمة للآلهة الرومانية والتأكيد على أنها تتم من جميع السكان ، وكان التربيون(Tribune) هو المسؤول عن تنفيذ ذلك عن طريق قوائم بأسماء المواطنين يتم استدعاؤهم عن طريقها فرداً فرداً كما كان على حكام الأقاليم الإشراف على ذلك. ويقول (يوسيبيوس) عن تلك الإجراءات: "أنها كانت تتم بهمة شديدة في كل أنحاء فلسطين التي تتمثل في: تذوق الأضاحي وتلويث اللحوم بدماء الأضاحي وكذلك بالخمر المسكوبة ويتم ذلك أمام الحمامات[111]. ويقول (Fox):" أن مشروع ماكسيمينيوس قام على إيجاد كهنة ورجال دين في كل ولاية وكل مقاطعة وتهيئة طقوس دينية يرعاها الكهنة كما قدم إعفاءات ضريبية للقرى التي اضطهد سكانها المسيحيين"[112].

أرجع(يوسيبيوس) سياسة الإمبراطور ماكسيمينوس تجاه المسيحيين إلى دوافع شخصية ودينية نتيجة أيمانه الشديد بالسحرة وميله إلى الكهانة والعرافة ، إذ قام بترميم المعابد والمذابح وعين كهنة في كل طائفة وكهنة أعلى في كل ولاية كما كان يعين كبار الموظفين وحراس الجيش ممن اشتهروا بالقرب من الآلهة الوثنية(بالحماس الديني للآلهة الوثنية) . ومن المرجح أن عدم اقتناع الإمبراطور ماكسيمينوس بالعقيدة المسيحية وكرهه لها كان نابعاً من اعتقاده الديني بان المسيحية كفر وانها العدو الذي يواجه المعتقدات الوثنية ، وقد دفعت هذه السياسة الموظفين الرومان وحكام الأقاليم على تتبع الإمبراطور في ذلك الاتجاه[113].

بدأت سياسة الإمبراطور ماكسيمينوس في التغيير بين عامي(311-313م) عندما بدأ الخضوع لسياسة أقرانه من الحكام المساعدين الذين بدأ نفوذهم في الازدياد وهم جاليريوس وقسطنطين وليكينيوس الذين كانوا يحكمون البلقان والأجزاء الغربية من الإمبراطورية وآسيا الصغرى[114]. وأصدروا قراراً عرف بمرسوم جاليريوس للتسامح نشر في نيقوميديا في نيسان عام(311م) ويقضي بأنهاء الاضطهاد ضد المسيحيين والسماح لهم ببناء أماكن لتجمعاتهم وإعلان الهدوء والأمان لهم[115]. ومن الملاحظ في هذا المرسوم أنه لم يأتِ نتيجة قناعة دينية بالمسيحية وإنما كما ذكر جاليريوس: أن سياسة الاضطهاد والتعذيب لم تحقق النتائج المطلوبة وإنما على العكس، فقد أزداد المسيحيون إصراراً وعناداً على موقفهم رغم هذا الاضطهاد وكان المبرر الذي أدعاه جاليريوس هو تصحيح الأوضاع الخاطئة والعودة للقوانين والنظم الرومانية التي نصت على التسامح وكما

يذكر(سيد أحمد علي الناصريّ): " أنَّ السبب الحقيقي لهذا المرسوم ووقف المذابح هو أن سياسة الاضطهاد والتعذيب للمسيحيين قد زادت الكنيسة قوة كما تسببت في خراب أجزاء من الإمبراطورية وأدت إلى تعطيل الإيراد من زراعة وصناعة"[116].

منح هذا المرسوم المسيحيين حق الوجود القانوني وبناء ما يحتاجونه من أماكن التجمعات، كما شجعهم على بناء الكنائس. وبعد أسبوع من قرار التسامح مات جاليريوس وتولى ماكسيمنيوس أمر آسيا الصغرى وعمل على أبطال القرار السابق بالتسامح ، وبدأت الأمور تسير في غير صالح ماكسيمنيوس ففي 24 تشرين الأول عام 312م هزم على يد قسطنطين الذي أخذ مع ليكينيوس في تفعيل القوانين التي تسير في صالح المسيحيين[117]. وقد ازداد الأمر سوءاً بالنسبة لماكسيمنيوس فمنذ بداية عام 313م ذهب ليكينيوس ضد ماكسيمنيوس في كل سياساته[118]، ولاسيما فيما يتعلق بالمسيحيين ، إذ كان ليكينيوس يستعد للحرب الأهلية ولذلك قام ماكسيمينيوس بإصدار قانون يتضمن تفاصيل كثيرة تتعلق بحرية المسيحيين، كما سمح لهم ببناء الكنائس وعودة ممتلكاتهم التي تمت مصادرتها وذلك لكي يتجنب العداء مع ليكينيوس[119].

بعد انتصار قسطنطين على ماكسيمنيوس ودخوله روما أصدر بصفته الاوغسطس الأعلى أوامره إلى ماكسيمنيوس دايا بوقف اضطهاد المسيحيين في الشرق ثم أصدر أوامر في عام(313م) إلى حاكم ولاية أفريقيا، بإصلاح الكنائس التي هدمت وتسهيل تقديم الأموال التي يحتاجها الأساقفة في قرطاجة لتوزيعها على كهنة الكنائس في شمال أفريقيا فضلاً عن إعفاء الكهنة من الضرائب وكافة الأعمال والمناصب الإلزامية. ورغم أنَّ الأمور كانت تسير في صالح المسيحيين نحو الأفضل إلا أن هزيمة ماكسيمنيوس على يد ليكينيوس عند مدينة هدريانوبوليس ثم مقتله، أذنت بانتهاء أعنف حقب الاضطهاد التي شهدتها الإمبراطورية ضد المسيحيين. وبعد موت ماكسيمنيوس أصبح الشرق كله في يد ليكينيوس الذي أصدر قراراً قضى بتطبيق إعلان مرسوم ميلان عام 313م الذي نص على منح الحرية للكنائس المسيحية ، ورد الاعتبار اليها وإعادة ممتلكاتها المصادرة وإعفاء رجالها من الخدمات الإلزامية[120].

مرسوم ميلان 313م ودور الإمبراطور قسطنطين وليكينيوس في انتصار المسيحية

عقد ليكينيوس وقسطنطين مؤتمراً في ميلان أسفر عن إقرار مرسوم ميلان الشهير عام 313م بعد انتصاره على منافسيه في معركة ميلفيان عام 313م، الذي اعترف علانية بشرعية الديانة المسيحية وأعتبارها بصفة رسمية دين شرعي ضمن ديانات الإمبراطورية[121]. وجاء في المرسوم: أن المسيحيين يجب أن تكون لهم الحرية في ممارسة طقوسهم الدينية مثل غيرهم فكل فريق يرى أن عقيدته هي الصواب والأفضل، ولا يجب أن يمنع أي فرد من التحول إلى المسيحية أو أيّ دين أخر، وكل من أختار المسيحية دين له كامل الشرعية في ممارسة عقيدته مثل الجميع(جميع الفرق الدينية الشرعية داخل الإمبراطورية)[122]. وفي سياق حماس قسطنطين للمسيحية . أورد (يوسيبيوس) قصة شهيرة مضمونها: " أن قسطنطين عندما زحف بجيشه ليقاتل مكسنتيوس وبعد أن انتصر عليه في موقعة جسر ميلفيان شاهد صليباً مضيئاً في السماء مكتوب عليه "ستنتصر"[123] ،كما أورد كل من (لاكتانتيوس ويوسيبيوس) قصة أخرى :" بان قسطنطين رأى في منامه صوتاً يأمره بان يرسم جنوده حرف(X) وعلامة الصليب على دروعهم وقد فعل قسطنطين ذلك بالفعل وانتصر في موقعة جسر ميلفيان ، وكان هذا الانتصار نقطة تحول لصالحه[124].

ومهما يكن من امر فان هدف الإمبراطور قسطنطين بميله نحو المسيحية ظل غير واضح الأسباب إلى نهاية حياته، فلعله كان مسيحياً حقاً ولم يعلن عقيدته منذ البداية لظروف سياسية كان يراها ، أو لعظم قوة الأرستقراطية الوثنية في الإدارة والجيش في ذلك الوقت، أو لقلة المسيحيين الذين لم يتجاوز عددهم حينئذ خمس سكان الإمبراطورية[125] .

وربما كان ما قدمه قسطنطين من أجل المسيحية متظاهراً بأنه رائد التسامح الديني في عصر كان يطفح بالتعصب والهمجية، ولعله لم يكن مسيحياً أيضاً نظراً لاحتفاظه بلقب الكاهن الأعظم لإله الشمس وسماحه للوثنيين بممارسة شعائرهم جنباً إلى جنب مع المسيحية، فضلاً عن أنه أتى في حياته من الأفعال ما يتنافى مع كونه مسيحياً ومن ذلك قتله لزوجته وولده[126] .

والواقع ومن خلال المرسوم وأعمال قسطنطين أن هناك تدرج بطيء انتهى بإعلان الإمبراطور قسطنطين نفسه حامياً للمسيحية والأديان الأخرى ، فلقد كان من الشاق عليه أن يمحو من ذهنه ما تلقنه من عادات ومعتقدات وثنية، وان يؤمن بالديانة المسيحية ويعلن ذلك بين يوم وليلة. لقد وازن قسطنطين دائماً بين آمال رعاياه وبين مخاوفهم ومن ذلك أنه كان يصدر مرسومين في وقت واحد الأول ينص على الاهتمام الشديد بيوم الأحد وفي ذلك نصر للمسيحيين، والثاني يحض على استشارة العرافين وفي ذلك نصر للوثنية[127] .

ويذهب الكتاب المسيحيون إلى إضفاء النزعة الدينية على قسطنطين والقول بأنه اعتنق المسيحية والجدير بالذكر أن الصراع بين كل من ليكينيوس وقسطنطين من جهة وماكسيمينوس وماكسينتيوس من جهة أخرى كان صراعاً سياسياً في الأساس وكان طبيعياً أن يأخذ كل فريق سياسة مناقضة للفريق الآخر، ففريق ماكسيمينوس وماكسينتيوس كان يمثل الاتجاه المناوئ للمسيحيين وباعترافهم فإن الاضطهاد لم يحقق ما كانوا يسعون إليه بل جاء بنتائج عكسية ، وعلى هذا الأساس كان من الطبيعي أن تكون سياسة قسطنطين وليكينيوس عكس سياسة الاضطهاد وهو ما حدث بالفعل . وسواء كان قسطنطين مسيحياً أو لا فقد رأى بعين السياسي البارع أن المسيحية هي الجانب الأقوى والأنجح في الصراع بين الاتجاه الوثني والآخر المسيحي، وكان من الطبيعي أن يأخذ جانب الفريق الأقوى الذي سارت الأحداث في صالحه. وكان النجاح الذي تحقق للمسيحية بمقتضى مرسوم ميلان نتاج مشوار طويل من الكفاح والصراع ولعل مرحلة الاضطهاد الكبرى في عهد الإمبراطور دقلديانوس والإمبراطور مكسيمينوس هي نقطة التحول الكبرى في هذا الصراع.

ورغم أن مرسوم ميلان سبقه عدة خطوات كانت في صالح المسيحيين بشكل كبير، ولاسيما مرسوم جاليريوس، إلا أن كل هذه الخطوات لم تحقق الشرعية المطلوبة للديانة المسيحية إذ كانت المراسيم والإجراءات السابقة تنطوي على تبرئة المسيحيين من التهم المنسوبة لهم وأطلاق سراح المسجونين منهم وإعادة من تم نفيه وبعض الإجراءات التي أتمت الحرية لهم ولكن لم يعترف بها بصفة رسمية كديانة مسموح بممارستها داخل حدود الإمبراطورية. وعليه أن النجاح الذي حققته المسيحية بمقتضى مرسوم ميلان يتمثل في الاعتراف رسمياً ولأول مرة بشرعية الديانة المسيحية[128] . وبمقتضاه انتهت مرحلة من الصراع دامت قرابة ثلاثة قرون بين الإمبراطورية الرومانية والمسيحيين لتبدأ مرحلة أخرى من الخلافات المذهبية ولكن هذه المرة كانت بين فرق المسيحية نفسها.

الخاتمة

من خلال البحث (اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحيين 54-313م) توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي:

1– كان لليهود دور في تحريض الأباطرة الرومان ضد المسيحيين واضطهادهم.

2– من أهم الأسباب التي أدت إلى اضطهاد الرومان للمسيحيين الأوائل هو رفضهم تأليه الإمبراطور والخدمة في الجيش الروماني.

3– كان الأباطرة الرومان يرون في المسيحية امتداداً لليهودية ولكنها ظهرت في ثوب جديد اسمه المسيحية وكانوا يخشون على مواطنيهم من اتباعها.

4– عانت المسيحية واتباعها الكثير من الاضطهاد والتعذيب بتشجيع من الأباطرة الرومان لاسيّما في عهد الإمبراطور دقلديانوس حتى أن عام 284م سمي بعام الشهداء لشدة ما اتخذ من إجراءات صارمة بحق المسيحيين .

5– لم يكن مرسوم ميلان أول مرسوم بالتسامح مع المسيحيين بل سبقه المرسوم الذي حمل اسم جاليريوس.

6– لم يكن قسطنطين عندما ادعى رؤية الصليب متوهجاً في السماء غافلاً عن حقيقة أن نجم الوثنية إلى الزوال، وان الصليب الذي راه يوحي إليه بأن سلطان الكنيسة قادم، ومن ثم يمكن القول بأن تحول قسطنطين عن الوثنية في اتجاه المسيحية كان تحولاً سياسياً .

7– نجح الإمبراطور قسطنطين منذ اعترافه بالمسيحية في التأصيل لفكرة قداسة الصليب وما يرتبط بهذه القداسة من معجزات حتى صار الصليب عنواناً مقدساً لكل الكنائس والأديرة على مر العصور.

8– من خلال إصدار مرسوم ميلان الذي أصدره قسطنطين وشريكه في الحكم ليكينيوس أنه كان هناك تدرج بطيء في التقرب للمسيحيين انتهى بإعلان الإمبراطور قسطنطين نفسه حامياً للمسيحية والأديان الأخرى .

الهوامش والمصادر

1- اغسطس: وهو أول أباطرة روما ومؤسس الإمبراطورية الرومانية، ولد في عام 23 سبتمبر عام 63 ق.م، والدته (Atiaoctavius) أبنة أخت يوليوس قيصر من أخته(Julia)، تعلم على يد كبار معلمي النحو والفلسفة وكان لقيصر أكبر الأثر على شخصيته وحياته، تولى القنصلية عام 43ق.م وبعد انتصاره في معركة أكتيوم أصبح أمل البلاد الوحيد في السلام. بكري، حسن صبحي، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، الرياض، دار عالم الكتب،1985، ص287 ؛

Bunson , Mathew, A Dictionry of the Roman Empire,NewYork,Oxford,,1994,pp.44-45.

2- ترتليان: لاهوتي من شمال أفريقيا كان محامياً قبل أن يهتدي إلى المسيحية سنة 195م اشتهر ببلاغته وصياغاته للمصطلحات اللاهوتية. للمزيد عن حياته انظر: ساكو، لويس، الكنيسة الأولى- مسيرة ايمان وبدايات لاهوت(دراسة نصوص مختارة من الآباء الأولين)، شركة التايمس للطباعة والنشر، بغداد، ص108.

3- قسطنطين: ولد فلافيوس فليريوس (قسطنطين)في مدينة نايس في ايليريا (يوغسلافيا) سنة 282م من أبيه قسطنطينوس كلوروس الذي كان قائداً للقوات الرومانية في بريطانيا وهو ابن غير شرعي لقسطنطينوس من هيلانة المسيحية التي كانت خادمة في احدى الحانات. للمزيد عن حياته.

المخلصي، منصور ،الكنيسة عبر التاريخ، كلية الفلسفة واللاهوت، المركز الثقافي،1997، ص55 ؛ ديورانت، وول، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج11 ، 2001، ص382.

4- استفانوس: يهودي من الناطقين باليونانية كان أول مسيحي يموت من أجل أيمانه وهو واحد من الرسل السبعة الذين اختيروا لتنظيم إعالة الأرامل الفقيرات في الكنيسة بأورشليم. موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل الحياة ، لبنان،1993؛ قصة موته موجودة في سفر أعمال الرسل في إصحاح(6-7).

5- اوليري، لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962، ص54.

6- لوريمر، جان، تاريخ الكنيسة، دار الثقافة ،القاهرة ،1982ص89.

7- نيرون: هو(Lucius Domitiusaheno Barbus) ولد عام 37م،وتولى العرش من (54م-68م)،وهو ابن اجريبينا الصغرى وحنايوس دوميتيوس اهنوباربيوس، توفى والده وهو في الثالثة من عمره، وقضى طفولته فقيراً. انظر:

Bunson, A Dictionry of the Roman Empire,p.292.

8- اوليري، المصدر السابق، ص54.

9- تيبيريوس : هو تيبريوس جراكوس (Tbrrius Claudius Neroi) ولد عام 42 ق.م، وهو ابن زوجة الإمبراطور أغسطس ليفيا(Livia Drusilla) (تزوج تيبريوس من ابنة أغسطس جوليا، وأعلن الإمبراطور عن تبنيه له، وانعم عليه بالسلطة التربيونية وأشركه معه في القنصلية، ومنحه سلطة الامبريوم الأعلى، وتولى تيبريوس الحكم بعد وفاة الإمبراطور أغسطس في التاسع عشر من شهر أغسطس عام 14م، وتوفى عام 37م.

Bunson, A Dictionry of the Roman Empire,pp.416-417.

10- Grant ,R., M. ,Augustus to Constantine,Collins,1971,p.55-56.

11- عبد الغني، محمد السيد، أضواء على المسيحية المبكرة، دار المعرفة الجامعية،1997، ، ص16.

12- Glover,T., The Conflect of Religions in early Roman Empire,Boston,1960,pp.169-170.

13- Lieu ,J., History and Theology in Christian view of Judaism,London,1987,p.88.

14- الصدوقيون: وهم الطبقة العليا الثرية، وحزب الكهنة اليهودي، كانوا لايعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة دون سائر الأسفار، وكانوا يشكلون مع الفرسيين أكبر حزبين في المحكمة اليهودية العليا. موسوعة الكتاب المقدس،ص194.

15- الفريسيون: قد يعني الاسم " المنعزلون" وهي كلمة آرامية وكان هؤلاء اتباع مذهب ديني متشدد ربما نشأ في القرن الثاني قبل الميلاد وكان معظمهم من اليهود العاديين غير الكهنة الذين التزموا الشريعة اليهودية، ومع أن الفريسيين كانوا أكبر طائفة يهودية في أيام المسيح فلم يكن عددهم يجاوز الستة آلاف وكان فيهم رجال أتقياء كثيرون جداً لكنهم ميالين إلى احتقار من لا يحفظون قوانينهم الصارمة ويتحدثون عنهم باعتبارهم خطأة وقد تجادل المسيح مع الفريسيين كثيراً، وكان نيقوديموس- الذي صار تلميذاً للمسيح في السر- وكذلك بولس- قبل اهتدائه- من الفريسيين. موسوعة الكتاب المقدس، ص232.

16- Lieu, op.cit, p.90.

17- كلاوديوس: وهو(Tiberius Caudius Drusus)عندما تزوج الإمبراطور أغسطس من ليفيا، كانت حاملاً من زوجها السابق وأنجبت بعد زواجها من أغسطس بثلاثة أشهر ابنها دروسوس الذي تزوج وأنجب ثلاثة أبناء هم (جرملنيكوس، ليفينا، وكلاوديوس)، ولد كلاوديوس في ولاية لوجدوندوم في أغسطس عام(10ق.م)،تقلد القنصلية أربع مرات وتوفى في(13 تشرين الأول عام 53م)، وكان عمره 64عام،وقد أدرج بين الإلهة.

Bunson, A Dictionry of the Roman Empire ,p.93.

18- الهرطقة: كلمة الهرطقة في المصطلحات الكنسية تعني الخروج على بعض أو كل مبادئ المسيحية المتعارف عليها والمؤيدة بنصوص الكتاب المقدس وأقوال الآباء. الهرطوقي هو من يتهم بذلك. واترسون، بربارة، أقباط مصر، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، مراجعة: مصطفى عبد الله شيحة،ط2،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،2011.

19- Glover, op.cit,pp.167-168.

20- لاكتانيتوسLactantius(240-320م) احد رجال الفكر المسيحي من شمال أفريقيا كان أحد معلمي البلاغة في عصر دقلديانوس في نيقوميديا. وكان أيضاً معلماً خاصاً لـ(Cripus) أكبر أبناء قسطنطين الأول. وله عدة أعمال في مواضيع مختلفة ،المسيحي منها هو الذي تبقى لنا حتى الآن. ويعتبر من اشهر المدافعين عن المسيحية أمام الهجوم الفكري الوثني. ومن أعماله(De Opficio) الذي يتحدث فيه عن بدء الخلق، بالإضافة إلى عمله الذي يتناول شهداء المسيحيين. وقد لقب لاكتانيتوس بـ (شيشرون المسيحية).

Sterm, M., Greek and Latin Authorson Jews and Judaism, Jerusalem,1974,p.24 .

21- De Mortibus perscutorum,vol.2,pp.1-2.

22- بيلاطس النبطي: حاكم اليهودية الرومانية(26-36م) أمر بإعدام المسيح(ع) وكان يقصد من ذلك استمالة عطف رؤساء اليهود. القيصري، يوسابيوس ، تاريخ الكنيسة،ط3،تعريب: القمص مرقص داود، القاهرة، مكتبة المحبة، 1998، الكتاب الأول، الفصل9؛ الكتاب الثاني، الفصل7؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الأيمان المسيحي،ط2، دار المشرق، بيروت،1998،ص.128

23- مجلس السنهدرين: مجمع رؤساء اليهود أو المجلس الأعلى لهم يتكون من سبعين عضواً برئاسة رئيس الكهنة وهو يدير شؤون اليهود. بارتون، بروس، وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ط2، القاهرة، 1988 ص2278.

24- كان اليهود مسموح لهم بمحاكمة المجرمين داخل حدود معينة ولم يكن لديهم الحق في إعدام أي شخص ولذلك كل جريمة تقضي بإعدام المتهم كانت توضع أمام المحاكم الرومانية من اجل الحكم فيها ولكن كانت هناك استثناءات تجاوز فيها اليهود امتيازاتهم وصلاحياتهم واستطاعوا تنفيذ حكم الإعدام بالفعل أو الشنق سراً أو الرجم على الملأ ويعلق جوسيفوس على ذلك بانه لم يكن حقاً قانونياً وإنما ذكر أن السلطات الرومانية كانت مستعدة لإغماض عينها عن بعض الأمور وبذلك يتضح لنا أن اليهود كان يمكنهم بالفعل تنفيذ أحكام الإعدام سراً أو إغماض الرومان أعينهم عن ذلك. للمزيد انظر:
Josephus,Jewish Antiquities ,Tr.By :Rrlph Macus,2nd,Cambridge:Harvard university press, 1942,vol.15, p.417.

25-Apologeticus,p.18-21.

26- جوزيفوس: فلافيوس جوزيفوس (Josephus Flavius) : مؤرخ يهودي ولد في أورشليم سنة (37-95م) من عائلة عربية يهودية، قضى معظم حياته في روما وآلفّ كتاباً عن الحرب اليهودية (Jewish Antiquities) ، إذ دونه باللغة الآرامية ثم ترجمه إلى اللغة اليونانية وعدٌ (فلافيوس جوزيفوس) من المؤرخين الأوائل الذين دونوا عن تاريخ اليهود . قادوس، عزت زكي حامد، آثار الإسكندرية القديمة، مطبعة الحضري،الاسكندرية،2007 ، ص.40

27- Jewish Antiquities, vol.18,p.64.

28- Demortibus Persecutorum, p.2.

29- مجلس الشيوخ: لقد شكل مجلس الشيوخ خلال عصر الجمهورية ومعظم العصر الإمبراطوري محور السلطة، كان أعضاء المجلس 100 ثم صار 300 في العهد الملكي ومعظم فترات عصر الجمهورية ثم زاد سولا عدد أعضائه إلى 600 وزادهم قيصر إلى 900.وكان أعضاء المجلس يعينهم الملك ثم اصبح ذلك من صلاحيات القنصل إلى أن منحت تلك الصلاحيات عام 351ق.م إلى الرقيب الذي كان حراً في اختياره لأعضاء مجلس الشيوخ. كان المجلس يشرف على سياسة الدولة وجميع شؤونها فكان له سلطة تشريعية إذ أن قرارات الجمعية المئوية لايمكن أن تكون سارية المفعول دون مصادقة مجلس الشيوخ. عبود، رشاد، عادل نجم وعبد المنعم، اليونان والرومان(دراسة في التاريخ والحضارة)،دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ص.378

30- Apologeticus,p.2-5..

31- Delauany, F., Philon d'Alexandrir "Ecrits Historiques", Paris, 1876, pp. 153-154 ;

إنجيل متي ، الإصحاح 25،27

32- Ecclesiastical History , vol.16,p.1 .

33- رستم ،أسد ، الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،بيروت،1988،ص27؛ إنجيل مرقس، الاصحاح16، .15

34 - بطرس: هو زعيم الحواريين واسمه سمعان وغيّره المسيح(ع) إلى بطرس، الذي تفسيره صفا. اليسوعي ،فاضل سيداروس وآخرون، معجم اللاهوت الكتابي،ط3، دار المشرق، بيروت،ص164؛ متي 10:2؛ يوحنا.1:42

35- Demortibus Persecutorum,vol.2,pp.5-6.

36- Grant, op.cit, p.98.

37- الرواقيون: هي مدرسة فلسفية يونانية أسسها زينون الكيتوي في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ومنها انتقلت إلى روما في القرن الثاني قبل الميلاد وترى أن ماهية الأنسان جزء من الوحدة الجامعة بين الله والطبيعة وان الكون تسري فيه روح كلية، وان خالق هذا الكون ليس مفارقاً له بل كامن فيه. وبهذا ترى أنها أول من زرعت بذور عقيدة وحدة الوجود. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، منشورات النهضة، بغداد ،د.ت ؛ أمين، عثمان، الفلسفة الرواقية،ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1971،ص.23

38-هارولد ،ادريس بل، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة: عبد اللطيف احمد علي، بيروت،1972 ، ص129-130.

39- تاكيتوس: يعد تاكيتوس من أعظم المؤرخين الرومان القدماء، وكتاباته هي المصدر الأساسي لتاريخ القرن الأول الميلادي، ولد عام 55م، وتوفى عام 120م، كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ في عصر الإمبراطور تراجان، لذا فقد أعتمد في كتاباته على مجموعة الوثائق الخاصة بمجلس الشيوخ، واهم مؤلفاته الحوليات للفترة من(14-66م)، والتاريخ ويتناول الفترة من (69-96م)أي الفترة من فسباسيانوس إلى تراجان .

Bunson, A Dictionry of the Roman Empire,p.402.

40- عبد الغني، المصدر السابق،ص9.

41- الناصري، سيد احمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري،ط2، القاهرة،1985،ص.165

42- المصدر نفسه،ص.165

43- Histories ,LCL, with an English Tr,skation By C.H Moor,London,1992, p.44.

44- Annales, LCL,with an English Tr, skation By John Jackso,London,1986,p.15.

45-Ibid,p.17.

46-Appian ,Roman History,Tr.By,Horacewite,4^{ch}ed ,Cambridge :Harvard university press,1995,pp.11.16.

47- الأسرة الفلافية : يبدأ حكم هذه الأسرة بصعود (تيتوس ڤلافيوس فسبيشيان) العرش، وأسم العائلة (ڤلافيوس) يظهر بأسماء ملوك السلالة الثلاثة واستمرت من عام(70-96 م). الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الرومان، مطبعة التعليم العالي،بغداد،1988، ص.172

48- دوميتيان: وهو الأبن الثاني للإمبراطور فسباسيانوس، والإمبراطور الثالث في الأسرة الفلافية، والثاني عشر من أباطرة العصر الإمبراطوري، ولد في الرابع والعشرين من تشرين الأول عام 51م في روما، وتولى الحكم عام 81م ،وتوفى عام 96م.

Bunson, A Dictionry of the Roman Empire,p,136.

49- Sordi, E.,M., The Christians and the Roman Empire,London,1994, pp51-52 .

50- Ecclesiastical History, vol..3, p.7.

51- Demortibus Persecutorum,vol.1,p.2.

52- عبد الغني، المصدر السابق، ص60 .

53- Grant, op.cit,pp.63-64.
54- Suetonius, Devita, Caesarum, Domitian-xll, LCL. with an English Tr.By.J.Rolf, London,1930,vol.15,p.1.
55- عبد الغني ، المصدر السابق،ص.12
56- Lieu,J.,op.cit,p.85.
57- Sordi, op.cit,p.65.
58- Durry,M.,Pline Ie Jeune ,tome 4,Iivres10 panegyrique de Trajan,paris,1964,pp.72-73.
59-Pliny,Natural History, Tr. By: H. Rckham, Cambridge : Harvard University Press,1942,vol.10,p.96.
60-Ibid,p.97.
61- عبد الغني، المصدر السابق،ص.28
62- افسوس: مدينة على الساحل الغربي في آسيا الصغرى ، وسكانها خليطاً من اليونان وسكان الأناضول ، كانت أفسوس عضواً في اتحاد (ديلوس) ولكنها لم تلبث أن ثارت عام 415 ق.م على الاتحاد وانضمت إلى (إسبارطة). عوض، لويس ، نصوص النقد الأدبي اليونان ، دار المعارف بمصر، القاهرة ،1965 ، ج1 ، ص242.
63- Eusebius,op.cit,vol.13,pp.6-7.
64- Sordi, op.cit,p.69.
65- Justin , Apologia,p.2.
66- بوليكارب: استشهد في سن 86،يعتقد البعض انه أستشهد في عام(166-167م).بينما يذكر يوسيبيوس أنه تم في عهد ماركوس اوريليوس(161-180م) والبعض ارجع استشهاده إلى عام (157-158م) أي في عهد انطونيوس بيوس.
Musurillo, H., The Acts of the Christian Martyrs,Oxford,1972,p.8.
67- سميرنا: إحدى المدن الأيونية في آسيا الصغرى، نالت شهرتها بسبب وقوها على الطريق التجاري الذي يربط بحر ايجه بفرجيا ثم يتجه إلى الشرق، ذكر في النقوش القديمة أنها نالت حريتها في عهد انطيوخوس الأول والثاني، واستمرت في حريتها بسبب ولائها للدولة السلوقية. الأحمد، سامي سعيد، والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988،ص.32
68- Musurillo ,H., The Acts of the Christian Martyrs,Oxford,1972,p.2.
69-Ibid,p.3.
70-Tertulian,op.cit,p.2-5.
71- المونتانية: يعود أصل هذه الفرقة إلى شخص يدعى مونتانس (Montannus) أعلن عند معموديته انه نال تدبيراً خاصاً من الروح القدس وتنبأ عن عودة المسيح السريعة إلى الأرض ورحب كثيرون بهذا الإعلان لان انتظار المسيح كان قد ضعف منذ نهاية القرن الأول الميلادي كما كان هناك اعتقاد عام بان نهاية العالم قد اقتربت واعلن سنة156م أن الروح القدس يتكلم إليه وحده مباشرة. لوريمر، تاريخ الكنيسة،ص120-121 ؛ ساكو، لويس، الآباء الأوائل (آباء الكنيسة

الرسولیون والمدافعون)،مطبعة الطيف،بغداد،1999،ص9 ؛ ديورانت، قصة الحضارة،ج11،ص.210

72- Sordi, op.cit,p.74.

73-Musurillo, op.cit, pp. 20--21.

74-Sordi, op.cit,pp.71-72.

75- جوستين: واحد من أشهر المتكلمين المسيحيين القدماء اعتنق النصرانية في افسس وصار من أشد المدافعين عنها كان ضليعاً بالفلسفة اليونانية أعتنق منها على الترتيب الرواقية ثم الارسطية ثم الفيثاغورية وأخيراً الافلاطونية قتل عام 165م على يد احد أباطرة الرومان . باسك، دانيال ، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم واثرها في المسيحية، ترجمة: سعد رستم، حلب،1993 ، ص.34

76-Musurillo, op.cit,p.44.

77- بدأ ماركوس اوريليوس في أعداد أبنه كومودوس كخليفة له منذ عام 176م بعد عودته إلى روما من جولة في الشرق والتي فقد فيها زوجته فاوستينا واعظم قادته لوكيوس فيروس وقبل ان يبلغ أبنه عامه الثاني عشر منحه لقب أغسطس إضافة إلى السلطة التربيونية وبذلك أصبح من الناحية السياسية شريك لوالده في الحكم. الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية،ص283-.286

78-Eusebius,op.cit,vol.4,p.5.

79- Tertulian,op.cit,pp.2-5.

80- Sordi, op.cit,p.74.

81- Ecclesiastical History,vol.5,pp.21-22.

82- عبد الغني، المصدر السابق، ص55-.56

83- اوريجينيس : (185-253م) هو اشهر علماء الكنيسة في قرونها الثلاثة الأولى ولد في بيت مسيحي في الإسكندرية اخذ مبادئ العلوم عن والده ليونيذاس وعن افليمس السكندري ويعد من أخصب المفكرين وأكثرهم إنتاجاً ممن عرفهم التاريخ المسيحي وهناك من أوصل مؤلفاته إلى ستة آلاف بينها المجلدات الضخمة وهو أول العاملين على إقامة صرح الفلسفة النصرانية مع تطبيقات على عقائد الأيمان المسيحي لذلك يعد زعيم الاتجاه العقلي في المسيحية . رستم، اسد ،آباء الكنيسة (القرون الثلاثة الأولى)، منشورات النور،1983،ص140 ؛ البهي، محمد ، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ط4، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1967،ص.65

84- Eusebius,op.cit,vol.1,p.6.

85-Sordi, op.cit,p.68.

86- عبد الغني، المصدر السابق،ص.57

87- Winter, J., G., Life and Letters in papyri ,Michigan,1933,p.136.

88- عبد الغني ،المصدر السابق،ص.58

89- وقد اختلف تاريخ تلك الشهادات التي عثر عليها من مكان لآخر ففي مصر كانت تشير إلى الفترة ما بين 12 حزيران و14 تموز من عام 250م وفي سميرنا إلى 12مارس من نفس العام أما في إقليم Ramphylia بآسيا الصغرى إلى 28 شباط من عام 249م ثم بدأ تنفيذه في كل مدينة أو قرية حسب تاريخ وصوله لها.

Knipling ,J.,R., The Libelli of the Decian persecution, HTR 16,1923,p.353.

90- عبد الغني، المصدر السابق،ص62-.63

91- Sordi, op.cit, p.101.

92- مجموعة مؤلفين، تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطورتيها)، دار عويدات للنشر والطباعة،مج2،بيروت،2006،ص 21 ؛ شلبي ، رؤوف، أضواء على المسيحية، المكتبة العصرية،1975،ص22-.24

93- عبد الغني، المصدر السابق،ص64-.65

94- Life and Letters in the papyri,p.142.

95- عبد الغني، المصدر السابق،ص65.

96- المصدر نفسه ، ص.66

97- الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية،ص387.وتعتبر الفترة من حكم جالينوس(251-253م) وفترة فاليريان من اشد فترات الإمبراطورية حرجاً ؛فقد هاجمت قوات القوط الراين والدانوب، واتحدت القبائل الألمانية في الدانوب، كما توحدت قبائل الراين في جبهة الألمان وبدئوا في غزو بلاد الغال وإسبانيا، وهاجم الألمان شمال إيطاليا، وهاجم القوط البلقان واسيا الصغرى. وفي الشرق هاجم الفرس بلاد الرافدين وسوريا.. للمزيد انظر: المصدر نفسه،ص365.

98- دقلديانوس: سمي دقلديانوس نسبة إلى البلدة التي ولد فيها (ديوكليا) في إقليم دلماشيا سنة245م وقيل انه ولد في سالونا (Sslona) كان والده من العبيد المعتوقين تدرج في مراتب الجيش من جندي بسيط حتى وصل إلى مرتبة القنصل ثم تولى وظيفة قائد القصر الإمبراطوري وهي من الوظائف الخطيرة. ظهرت كفاءته في حرب الساسانيين خلال حكم الإمبراطور نومريانوس (283-284م) وبعد وفاة الأخير اعترف به بأنه أجدر شخص لعرش الإمبراطورية. جيبون، ادوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1997،1، ص285-286 ؛ عمران، محمود سعيد، مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي،د.م،1996،ص.48

99- فقد هاجم البرابرة أكبر وأشهر المدن الرومانية مثل انطاكية في عام 253م وافسوس 262-263م وميليتوس263م وقيصرية وكبادوكا 253م وأثينا في 267-268م والإسكندرية 270-271م وكانت هذه القائمة تضم أكبر المدن تعداداً بالسكان في الإمبراطورية كما هاجم القوط ميليتوس وفي عام 270م كانت الحرب الأهلية في الإسكندرية التي ربما تسببت في هدم قبر الإسكندر كما هاجم الفرس سوريا وبلاد الرافدين.

Fox,R.,paiens et chretiens " Ia Religion Ia vie Relegieuse dans I'Empire Romain de Ia mort de Commode au conceile de Nicee ,Mirail , 1997,p.593.

100- عبد الغني، المصدر السابق،ص.67

101- لكثرة عدد الشهداء من جهة ولشدة عنف الاضطهاد الذي تعرض له اتباع المسيحية من جهة أخرى. إذ بلغ الذين قتلهم دقلديانوس(140,000) من أبناء المسيحية وجعلوا بداية حكمه (284م) بداية لتقويمهم القبطي عند أقباط مصر إحياءً لتلك المأساة. وان الكنيسة القبطية في مصر والحبشة لازالت تؤرخ الأحداث بعصر دقلديانوس أو عصر الشهداء ويبدا التقويم القبطي بيوم 29اغسطس سنة 284م وهو نفس اليوم الذي يوافق أول شهر تحوت بداية السنة المصرية القديمة وذكرى استشهاد العديد من المسيحيين.عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1967،1،ص52 ؛ تاوضروس، اسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية،القاهرة،1972،ص25

102- Eusebius,op.cit,vol.8,p.2.

103-Burgess,R.,W.,the Date of the persecution of the Christians in the Army, JTS47, 1996, PP. 157-158.

104- نيقوميديا: تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة وهي مدينة أزمير التركية في الوقت الحاضر. معلوف، لونيس، المنجد في الاعلام،ط3،مطبعة اميران،ايران،2001،ص42.

105- Mitchell,S.,Maximinus and the Christians in A.D.312,Journal of Roman Studies78,1988,p.111.

106- الساموك، سعدون، رشدي عليان، تاريخ الديانتين المسيحية واليهودية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ب.ت، ص95 .

107- هارولد ، المصدر السابق، ص159-160.

108- حتى ان جاليريوس الذي اشتهر بعدائه للمسيحيين وكان وراء ذلك الاضطهاد اصدر قراراً في نيسان عام 311م بوقف الاضطهاد بل وطلب من المسيحيين أن يصلوا من أجله بسبب مرضه. المصدر نفسه،ص160.

109- عمران، محمود سعيد ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها،ط3، دار النهضة العربية، بيروت،2009، ص21.

110- Fox, op.cit,p.617.

111-Eusebius,the Martyes of Palestine,vol. 4,p.8 ; Metchell ,S.,Maximinus and the Christians in 312AD, Journal of Roman Studies78,1988,p.112.

112- paiens et chretiens " Ia Religion Ia vie Relegieuse dans I'Empire Romain de Ia mort de Commode au conceile de Nicee,p.617.

113- Ecclesiastical History,vol.14,pp.8-9.

114- وجدير بالذكر أن الفترة ما بين(307-311م) شهدت صراعاً على عرش الإمبراطورية بين خمسة قادة هم جاليريوس وماكسينتيوس وماكسيمينوس دايا وليكينيوس . Mitchel, op.cit,p.116

115- Eusebius, op.cit,pp.3-10.

116- تاريخ الإمبراطورية الرومانية،ص432.

117- Mitchel, op.cit,p.113.

118- كان ليكينيوس عدواً لماكسيمينوس لان الثاني تسرع وأستولى على الولايات الآسيوية بعد موت جاليريانوس كما أن موقفه أصبح ضعيفاً بعد هزيمة حليفه ماكسيمينوس ومقتله وبذلك أصبح وحيداً أمام تحالف قسطنطين وليكينيوس. الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص435.

119- Tertulian, op.cit,pp.10-11.

120- الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ،ص434.

121- Mitchel, op.cit,p.116.

122- Eusebius, op.cit,vol.2,p.12.

123- Eusebius, Life of Constantine, vol.1,p.28.

124- De Mortibus perscutorum, vol.5,p.44.

125- Bury ,J.B., History of the Later Roman Empire 2vols,London,1923,p.366.

126- الشيخ ، محمد محمد مرسي ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية،1997، ص18.

127- عمران ، محمود سعيد ، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،2007 ، ص41.

128- عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص25-26.

Persecution of the Roman emperors to Christians 54-313 AD

Dr.Tatheer Abdul Jabbar Naji
University of AL-Mustansiriyah/ College of Education

Abstract

Christian religion suffered much from the persecution of the Romans for more than three centuries, which many of its men lost. The Romans inflicted great suffering on this community because they saw in their non-worship of the emperors a betrayal of the state. This worship is the best way to unify the vast empire. The Roman persecution of the Christians continued until the Emperor Constantine came and in 313 issued the Milan decree, which counted Christianity as one of the religions allowed to be practiced within the empire .